ريمونتادا سوداء

رواية

ديوان العرب للنشر والتوزيع

ديــوان العـرب للنشــر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: ريمونتادا سوداء

اســـم المـؤلف: مؤمن مصطفى السبيعي

التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــداع: 25915 / 2023

الترقيـم الدولي: 978 – 977 - 998 - 271 - 7

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

تـصميم الغلاف: منى الموجـي

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه

رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

ريمونتادا سوداء

روايةّ

مؤمن مصطفى السبيعي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى والدتي، التي أشتاق إليها ولم أرَها منذ سنوات، وأشتهي أن أشرب القهوة من يدها في صباح شتاء ماطر. إلى والدي، الذي أحرق سنين حياته حتى وصلتُ أنا إلى هنا. إلى أخوتي، الذين دائماً بذاكرتي ولا يكفُّ عقلي عن التفكير بهم (أحبكم جداً).

مؤمن مصطفى السبيعي

****

عالم السحر.. أو بالأحرى؛ السحر الأسود.. هو -كما نعلم- استدعاء من بني الإنس لبني الجن، والاستعانة بهم وتسخيرهم لتنفيذ خدمات شيطانية تؤدي إما إلى إزهاق روحٍ أو إيذاء شخص، أو قد تصل في بعض المرات لإبادة نسل أو تشويهه.

هو عالم مظلم، مختلف، قد يظن البعض أن الانخراط في عالم السحر الأسود بسيط وسهل... مجرد طلاسم ومتطلبات وستحقق تلك الغايات الشيطانية التي أبدع في التفكير فيها وحوش الإنس، ومنهم من لا يفكر ماذا سيحدث بعد ذلك وما هي العواقب.

هو شرك وكفر لم يأبه لعواقبه في الآخرة بعض شياطين الإنس. جميعنا نعلم أن جزاء السحرة الذين استخدموا سحرهم في إيذاء وقتل وإزهاق البشر، وتعاونوا مع الجن لتحقيق تلك الغاية، لهم في الآخرة ما لهم من عذاب وجحيم جزاء من الله بما اقترفت أيديهم من أثام.

هنا نسأل أنفسنا سؤالًا: إذا كان هذا جزاء من انخرط في السحر الأسود في الآخرة، فماذا عمن يدخلون هذا العالم الأسود في الدنيا...هل هناك من ينجو؟!...أم أن هناك من أبحر بعيداً حتى وصل لقاع ذلك الظلام... ما نعرفه ضمن قانون نيوتن أن (لكل فعل رد فعل)

أؤكد لك أيضاً عزيزي القارئ أنه (لكل من يدخل عالم السحر الأسود عاقبةٌ وخيمة...والدليل فيما ستقرؤه.

عزيزي القارئ: في المقدمة كشفت لك أنني سأتحدث عن السحر الأسود، والآن سوف أروي لك قصة قصيرة، ولكن أتمنى أن لا يذهب عقلك إلى البعيد، هي قصة قصيرة حصلت مع فؤاد.

أساساً نسجت هذه القصة من نسيج خيالي. عندما شعرت بالملل وأنا أجلس مع نفسي وقررت أن أنسجها وأوصل فكرةً منها للأشخاص التي تحاول تجربة الخضوع للسحر الأسود لتكسب المال، أو لإيذاء الأشخاص، أو لتسبب بطلاق زوجين سعداء في حياتهم الزوجية، أو تدمير عائلة نفسياً وجسدياً إلخ....

سأخبرك عن السحر إذا انقلب على ساحره، ما هي نتيجة عواقبه، وذلك الكم الهائل من المعاناة التي ستتسبب بإيذاء نفسه.

وربما سيصل إلى الانتحار ليتخلص من تلك العواقب التي سقطت على رأسه بسبب غبائه، ولم يفكر أن يلجأ إلى الله والدعاء، ويجتهد ليكسب المال الحلال.

عزيزي القارئ: هيا ضع يدك بيدي لنقرأ معاً هذه الرواية التي ربما إن كنت تفكر واحدًا بالمئة بفكرة اللجوء إلى السحر وطقوسه ستتراجع عنه، وستلجأ إلى الله بدلاً من الدخول بتلك المتاهات التي حرَّمها الله علينا. لنبدأ من بداية القصة.

****

في تمام الساعة الثامنة صباحاً، استيقظ فؤاد من نومه على صوت المنبه المزعج الذي أيقظه من حلمه الذي كان يستمتع به وهو برفقة شهد التي قابلها منذ عدة أيام في أحد المسرحيات. استيقظ وهو يهرش في رأسه محاولاً أن يعود إلى نومه ليكمل حلمه الذي تركه في منتصفه. لوهلة تذكر أنه سيلتقي شهد لأول مرة بعد ساعتين. نهض بترنح متجهًا نحو الحمام، الابتسامة تملؤ وجهه، حتى أنه ارتطم في الأريكة التي في منتصف الصالة ولم يشعر بألم. توقف أمام المرأة يتأملها وهو يحسِّس بيده على لحيته التي بدأت تنمو بشكل عشوائي. منذ أيام لم يلمسها وهو يفكر بتلك الفتاة، عندما راقبها وهي تخرج من المسرح بشعرها الذهبي الطويل الذي كان ينعكس عليه ضوء الشمس فيشكل لمعانًا يبهر من ينظر لها، مع نظراتها الجذابة من عينيها الزرقاوين، ومشيتها وهي تسير كضابط عسكر بفستانها الأسود الذي يجر خلفها.

كان ينظر لجميع الناس الذين كانوا منبهرين بها. حتى الفتيات أطالوا النظر إليها وفي عيونهم تتراكم كميةٌ من الغيرة والحقد.

الجميع كانوا ينظرون نظرة عابر إلا فؤاد الذي لحق بها وتجرَّأ وأوقفها ليطلب منها احتساء فنجان قهوة معاً في أحد الكافيهات.

نظرت لثوان إلى عينيه ومن بعدها هزت رأسها بنوع من الموافقة.

شعر بألم خفيف في عنقه بسبب نسل موس الحلاقة الذي غرز بجلده، وهو يتذكر ذلك المشهد، دون التركيز في حلاقة لحيته. رمى الموس على الأرض

بغضب وهو يشتم به، وكأنه هو المتسبب بجرح عنقه، رغم علمه بأنه يجب عليه في الوقت الذي يقوم به بحلاقة لحيته أن لا يفكر بشيء آخر. الأمر الذي أغضبه ليس الجرح الذي ظهر في عنقه، إنما أن تنتبه شهد هي لذلك الجرح، يا للحماقة! وكأنها في أول لقاء بينهما ستتأمل وتتفحص جميع تفاصيل جسده.

استعاد الموس من الأرض، وأكمل ما تبقى من لحيته بعجل. ومن بعدها أخذ فرشاة الأسنان وبدأ في تنظيف أسنانه، وهو يرقص ويتمايل يميناً ويساراً مثل راقصات الباليه.

عاد إلى غرفته وهو يمارس تلك الرقصة رغم نضوجه وضخامة جسده، ولكن وكأنه عاد لسن المراهقة بعدما أومأت برأسها بالموافقة.

فتح خزانة ملابسه وأخرج لنفسه قميصًا أبيض اللون وبنطالًا كلاسيكيًا رمادي اللون، ارتادهم وقام بتمشيط شعره الناعم الكثيف إلى الخلف مثل عادته بعد أن وضع عصرة ليمون عل كف يده وقام بمسحها على شعره.

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، كانت قد قاربت التاسعة صباحاً. والمكان الذي سيلتقيان به يبعد ساعة عن منزله. خرج مسرعاً من المنزل، واستقل أول سيارة أجرة رأتها عينه، حتى أنه جرى نحوها مسرعاً ليكسب حتى لو بعض الثواني من الوقت. طلب من السائق الذهاب إلى العنوان الذي وصفه له بأسرع ما يمكن.

في طريقه، أخرج هاتفه وطلب رقم خدمة الزبائن الخاص للمقهى الذي سيذهبان له، وطلب منهم أن يتم حجز طاولة تكون إطلالتها إلى الشارع، لسبب تواجد المقهى في شارع صمم على الطريقة الأوربية... الخضار والورود من جانبي الشارع . والأحجار المتراصة بطريقة هندسية عبقرية مع انعكاس السماء على الماء الذي هطل على الأرض منها قام بتشكيل منظر خلاب يبعث الراحة في النفس.

توقفت سيارة الأجرة أمام المقهى وخرج منها فؤاد وهو ينظر يميناً ويساراً، لعلها تقع عينه عليها قبل أن تراه هي..

شهد فتاة في عمر الخامسة والعشرين.. لم تقع قبل ذلك ضحية للحب. ولا تعلم ما هو الجنس من قبل. ولم تجلس قبل ذلك مع أحد وتحتسي معه فنجان قهوة كما تفعل في ذلك الصباح. وهذا ما كان يبعث الخوف والقلق لها.

ولكن عندما نظرت لعينيه تلك الليلة شعرت بطمأنينة تجاهه وهذا ما جعلها توافق على ذلك اللقاء دون التفكير حتى...

****

- حضرة الطبيب أنا لست مصابًا بأي مرض نفسي، لا أعلم ما هو سبب احتجازي هنا؟!..

-أعلم ذلك لكن طريقة تعاملك وتصرفاتك تعكس ذلك.

- ما هذه الحماقة! تحكم علي من تصرفاتي وتحتجزني هنا منذ شهر.

-سيد فؤاد لا يمكنني إخراجك من هنا، أعتذر...

قال تلك العبارة بغضب الطبيب بعد سماعه كلمة ما هذه الحماقة. التي جعلته ينتفض ويخرج إلى خارج الغرفة التي يحتجز بها فؤاد، ردَّ الباب بقوة جعلت فؤاد ينتفض هو الآخر.

رفع فؤاد قدميه وجلس على زاوية السرير، وضع يده على ركبتيه وأسند رأسه عليها، وهو يقول: اللعنة على طبيب مثل هذا، يظن أنني مجنون أو مريض ولا يعلم أنه هو المجنون.

من بعدها عاد يرتل تلك الكلمات من جديد (لن تذهبِي لغيري -سوف أقتلك عندما ألتقي بكِ- سوف تموتون جميعاً- لن أرحم أحد). كان الطبيب يستمع له من خلف الباب وبجانبه شهد والدموع تنهار من عينيها كأنها تقول له: لا علاقة لي إنني أحبك ويستحيل أن أجعلك تصل إلى هذا الحال، سامحني يا فؤاد.

طلب منها الطبيب أن ترافقه إلى مكتبه بعد أن جففت تلك الدموع التي كانت تبلل وجهها بمنديل أعطاه له الطبيب. وهم يسيرون في الممر قالت

للطبيب: سوف أفعل ما بوسعي لإخراجه من هنا، أعلم أنني مذنبة، ولكن لم يكن بوسعي فعل شيء، هو من أجبرني على ذلك.

فتح باب المكتب ودخل أمامها وهو يشير بيده لكرسي كي تجلس عليه وهو يقول لها: تفضلي بالجلوس. جلس هو خلف مكتبه ونظر لها: ماذا أطلب لك لتشربيه يا سيدة شهد... ردت عليه شهد: أشرب اليانسون، ولكن يفضل أن يكون السكر قليل بداخله. رفع الهاتف الصغير الموضوع على الطاولة وطلب يانسون لها على طلبها وطلب لنفسه قهوة من غير سكر، ثم أغلق السماعة وهو يقول لها: أخبريني عن حياة فؤاد السابقة.

ماذا تريد أن تعلم حضرة الطبيب؟ هل أقول لك أنه لم يكن يعلم ما هي الشوارع والطرقات بعد عودته من العمل إلى المنزل!. أم أقول لك أنه لم يكن يصادق نساء ولم يختلِ بامرأة من قبل. أو أنه لا يملك رفاقًا يجلس معهم في المقهى حتى الفجر كما يفعل البقية. ولم يتذوق طعم السجائر حتى...أم أنه خجول لدرجة أنني عندما أقابله كنت أسرق الكلمات من فمه.

رفَعَت كوب اليانسون وقربته من شفتها وارتشفت رشفة منه ثم أعادته إلى موضعه بجانبها وأكملت. كان يستيقظ باكراً ويذهب لعمله في أحد الشركات الصغيرة ويجلس خلف حاسوبه ولا يكلم أحدًا، ولا يرفع رأسه عنه حتى ينتهي وقت عمله (بالمناسبة كان عندما تعارفنا في البدايات محاسبًا بسيطًا في إحدى الشركات) يعود في المساء إلى منزله مباشرةً دون الذهاب إلى أي مكان. هذا هو روتينه المعتاد الذي يفعله في كل يوم. حتى أنا

كنت سأصاب بالجنون من حياته المملة وروتينه الممل. كان يهوى المسرحيات، ولكن دعني أقول لك أنه كان يذهب بمفرده حتى عندما تقابلنا لأول مرة كان بمفرده.

كنت أظن بالبداية أنه يمر بحالة اكتئاب فترة وستمضي ويعود إلى حالته الطبيعية. حاولت إخراجه منها، ولكن اكتشفت أنه منذ سنين على هذا الطبع، منذ طفولته كما أخبرتني والدته.على حسب ما استنتجته أن شقيقه مات بسببه وهم يلعبون معاً في الحديقة، هذا ما كان يخبر والديه به دائماً، وأنه مات هو أيضاً منذ ذلك اليوم رغم أنه ما زال على قيد الحياة.

أخذ الطبيب فنجان القهوة وارتشف منه رشفةً وأبقاه في يده، وأخذ بفرك أصابعه عليه وهو يقول: هل كان له أي علاقة بالسحر؟ أو لاحظتِ شيئًا من هذا القبيل عليه؟ أو شككت به ذات يوم؟.

للصراحة، في الفترات الأخيرة كان يقرأ بعض الكتب التي لا أعلم ما هو مصدرها، قالت تلك الجملة وهي تعيد الكأس إلى موضعه بعد أن شربت ما تبقى منه.

ثم أكملت: في الفترات الأخيرة، حتى تصرفه وكلامه تغير معي، لم يعد مثل الماضي بسبب كثرة انشغاله، بعد أن تطور عمله وكان منعزلًا دائماً في أوقات فراغه يقرأ الكتب. حتى عندما سألت والدته عن سبب اختفائه قبل أن يتوفاها الله أخبرتني أنها هي أيضاَ لم تكن تراه أو تعلم عنه شيئا. كان وكأنه شبح يتجول...حتى استأجر منزلًا لوحده واستقل فيه بعد وفاة والده.

نزل من السيارة وهو يلتفت حوله حتى رآها وهي تقف في زاوية الكافيه تنتظره. كانت أجمل مما رآها أول مرة وهي تخرج من المسرحية... شعرها الذهبي المتدلّي هو ما جعله يعرفها. اقترب منها من الخلف وهو يقول في سره: كيف سأبدأ الكلام؟ ما هو الحديث الذي سأبدأ به... ابتلع ريقه وبلل شفتيه بلسانه ونادى لها: (شهد)...

التفتت له بنظرة خجل. ومدت يدها لتصافحه، مدَّ يده هو الآخر وصافحها شعر الاثنان بحرارة... تلك الحرارة هي الشعور بالحب والعاطفة، تلك الحرارة هي تنتقل من الكف إلى القلب ومن بعدها تبدأ الراحة والأحاديث بين الاثنين تلقائياً..

(أعلم درجة تلك الحرارة عندما صافحت حبيبتي السابقة لأول مرة شعرت بنفس دفئ تلك الحرارة وهي ما جعلت أول حديث بيننا يبدأ وينتهي بسلاسة، حيث مرت ثلاث ساعات ونحن نتحدث دون أن أشعر. علاقتنا بدأت بمصافحة ولكن انتهت أيضاً بمصافحة)

أشار بيده للدخول للكافيه وهو يرتجف وكأنه هو الفتاة من فرط الخجل الذي كان يتشكل على وجهه. بينما كانت شهد على عكسه تشعر بطمأنينة وثقة لم تشعر بهما من قبل.

اقترب أحد النادلين وهو يشير بيده إلى أحد الطاولات وهو يقول: تفضل يا سيد.. رد عليه فؤاد قد حجزت طاولة بالهاتف. أعتذر النادل منه وهو يغير اتجاه يده لطاولة أخرى وهو يقول: هذه هي يا سيدي تفضل.

كانت الطاولة مختلفة عن باقي الطاولات داخل الكافيه، عليها باقة ورد، ومغطاة بغطاء من القماش لونه أحمر. وكأن الذي حدثه على الهاتف كان يعلم بأنه سيبني عليها قصة حب جديدة حتى اعتنى بها بنفسه وزينها بالورود واللون الأحمر.

جلس فؤاد وبمقابله جلست شهد وهي تضم أصابع يدها على بعض وتحركهم بشكل دائري تنتظر فؤاد أن يبدأ بالحديث. أما فؤاد فكان ينظر لها ويتأمل جمالها ويفكر بما سيقوله حتى يبدأ الحديث، وهو يلعب بالساعة التي يضعها على يده بتوتر.

بعد فترة صمت طويلة...قال لها ماذا تشربين؟ ردت عليه أشرب اليانسون، شعر فؤاد بالغرابة من طلبها اليانسون.

أكملت كلامها: بالمناسبة؛ مشروبي المفضل هو اليانسون، يمكنك القول أنني لا أشرب شيئا آخر. هز رأسه بنوع من التفهم وشاور بيده للنادل وهو يقول: ما هو مجال عملك. ردت عليه تخرجت حديثاً من كلية الحقوق وبدأت بالمحاماة تحت مساعدة محامي جيد في هذه المهنة. وأنت ما هو عملك. ردَّ عليها: أنا محاسب في شركة استثمار، مجرد محاسبٍ تافه أعمل طوال النهار حتى آخذ مرتب آخر الشهر، والذي ينتهي في منتصف الشهر.

أليس عيبًا على شخصٍ مثلي بضخامة الثور أن يأخذ مرتبًا لا يستطيع به إعانة أسرته والزواج وتكوين أسرة مثل باقي البشر. أم أن هذا لم يكتب لي.

كان يقول تلك الكلمات بحسرة ولكن هذا ما جعل شهد ترتاح له أكثر بسبب مصارحته من أول جلسة بينهم. أنت أفضل من غيرك بكثير، يكفي أنك تعمل وتأكل بمجهودك ولا تمد يدك لأحد مثلما يفعل الكثير من الناس. هز رأسه وهو يقول: أعلم، ولكن فترة وسأحقق حلمي بإذن الله، لن أبقى كما أنا. هزت رأسها هي الأخرى بعد أن أبعدت الكوب عن فمها، وقالت له لتداري الحديث وتخرجه منه: ما الذي جعلك تطلب مقابلتي؟ ما السر من ذلك؟.. ترى امراة لأول مرة في حياتك وتطلب مقابلتها ما تلك الجرأة التي لديك.

نظر لها وهو يقول: لا أعلم ما الجرأة وما السر اللذان جعلاني أفعل ذلك.. ولكن لأعترف لك، لأول مرة بحياتي أفعل ذلك، لم أكلم فتاة بحياتي من قبل، ولا أعلم ما هي المقابلات، كنت أشاهدها في الأفلام فقط. ردت عليه ضاحكة بنوع من المزاح: جميعكم تقولون ذلك، ألم تصبح موضة قديمة ويجب تغيرها. نظر لها وهو يضحك ساخراً: وهل قابلتِ أحدًا قبل ذلك حتى اكتشفتِ ذلك؟.

-لأول مرة أقابل شخصًا بحياتي.

-هههههه جميعكُنَّ تقُلنَ ذلك.

ضحك الاثنان وتبادلا نفس الأحاديث الباردة لمدة ساعة حتى طلبت هي الرحيل. وافقها الرأي وخرجا خارج الكافية.. صافحته وطلبت منه أن تقوم بتوصيله بسيارتها. رفض، وقال لها: لا تقلقي سوف أذهب مثلما أتيت. ترك

يدها وهو يقول لها: هل سنتقابل مرة أخرى؟ هزت رأسها بالموافقة، وهي تبتعد عنه، وهو أوقف سيارة أجرة وذهب إلى المنزل.

.....

أوقف سيارة الأجرة قبل منزله بعدة شوارع ليكمل باقي الطريق سيرًا على الأقدام.. لقد وقعت بالحب. كان يقول تلك العبارة مراراً وتكراراً وهو يسير بين الشوارع الشعبية والابتسامة ترتسم على شفتيه.

وقف مرة واحدة وضرب بيده جبينه، الحب يأتي بعده الزواج؟ ومن أين سأجمع المال! وخصوصاً أنه يظهر على هيئتها أنها من عائلة ثرية. ولأفرض أنني جمعت تلك الأموال بالرغم من أين سأقوم بجمعها لا أعلم...ماذا لو كانت عائلتها يصيبها مرض الطمع وكثرة الطلبات، وطلبوا أشياء لا يمكنني إحضارها من الأساس، هذا إن وافقوا على ذلك الزواج من الأساس.

إن وافقوا سيكون قبولهم أن أكون حارسًا أو سائقًا لهم لا أكثر ولا أقل، أما أن أكون زوجًا لابنتهم فهذا مستحيل.

****

دخلت شهد منزلها، كان عبارة عن قصر مكون من طابقين، بابٌ كبيرٌ مزخرف بعناية، وخلفه حديقة كبيرة، الورود تحاوطها من جميع الجوانب، هذا غير عشب المرج الأخضر المزروع بهندسة، وشلال كبير على الزاوية تتدفق منه المياه بطريقةٍ تخطف الأنظار على الجانب اليسار، أما على اليمين، كان يوجد كراجٌ للسيارات، هذا غير الغرف الكبيرة المتراصة على الجانبين بحجم القاعةِ كل غرفةٍ منهم.

دخلت المطبخ الذي هو أشبه بالمطبخ الملكي، وطلبت من الخادمة أن تعد لها كوب يانسون كما تعودت أن تشربه، وصعدت إلى غرفتها في الطابق العلوي وهي تلعب بشعرها وتنظر لنفسها في المرآة الكبيرة وهي تكذِّب عقلها.

هل حقاً وقعتُ بالحب؟

تكذب عقلها وتدعي أنه كان حلمًا، ولم تذهب لمقابلة فؤاد من الأساس، دخلت الخادمة بعد أن طرقت على الباب وهي تحمل بيدها صينية دائرية صغيرة تضع عليها كوب اليانسون وبجانبها كوب ماء، لاحظت على وجهها تلك الابتسامة التي لم تلاحظها منذ بداية عملها في القصر كانت هذه المرة مختلفة عن كل المرة.

وضعت الصينية على طاولة صغيرة بجانب شهد وخرجت، وشهد ما زالت بذلك الشرود وتعيد ما حصل بعقلها وهي تبتسم كشريط فيديو كلما انتهى أعادته من البداية.

****

يجلس ويضع يده خلف رأسه -بعد تفكير طويل بما سيحدث بالمستقبل- وبعد اتخاذ عدة قرارات متقلبة كان يراجعها في عقله، قرر اللجوء إلى أحد العرَّافين.

عندما كان صغيرًا كان يحدثه جده عن تلك الخرافات، بأن العرافين بعضهم يكون تنبؤه صحيح ويستطيع التنبُّؤ بما سيحدث في المستقبل.

كان فضول فؤاد يقتله وهو يفكر هل ستكون من نصيبه ويتزوجها، أم أن عائلتها سترفض بسبب اختلاف الطبقات.

(لا يوجد أحد يعلم الغد. هل تريد معرفة لماذا؟ لأنه ببساطة لا يعلم ماذا سيحدث بعد دقائق.

منذ أن نشأ هذا الزمن وخلق البشر والتاريخ يمتلئ بالعرافين ويقولون بأنه ذو نبأ، الأشياء التي تنبَّأ بها صحيحة.

العراف ليس شخصاً قادراً على رؤية الغيب بل هو شخص قادر على جعل كلامه يبدو كذلك.

من رأيي، ربما أحدهم يلجأ للسحر ويستطيع قراءة عقلك، ويطبق ما يدور في عقلك بكلامه حتى يجعلك تصدقه وتضع يدك في جيبك كالغبي وتخرج ما تملك من نقود وتدسها له تحت البطانية التي تجلس عليها بمقابله، وبعد فترة من الزمن ترى بأن لا شيء من الذي أخبرك به حصل، وتشعر حينها بأنك حمار على هيئة بشر قد غلبك بطريقته وأخذ أموالك وأنت تبتسم بسبب ما قاله لك.

هل تريد نبوءة مني بمقابل مال...حسناً اتفقنا، اجلس أمامي لأضع على الجمر الذي أمامي القليل من نشارة الخشب المطحون الذي أدَّعي أنني من خلاله سوف أصل إلى مستقبلك، وأطفئ الأنوار، وأحرك يدي فوقه كراقص بهلواني، وأقلد حركات اليوجا، وأغمض عيني وأقول لك: بعد عامٍ ستعثر على كنز وسيغير حياتك ويجعلك رجل أعمال مشهور. وبأن ابنة خالتك الشمطاء مغرمة بك ولا تستطيع أن تعترف لك. أو أن زوجتك الآن في غرفة نومك تفتح ساقها لرجلٍ غيرك وتمارس هذا كل يوم بعد خروجك من المنزل، وستجن أنت وتذهب جرياً إلى منزلك كالأعمى لا ترى شيئا أمامك حتى تضعهم تحت الأمر الواقع، لكن لن تجد أحدًا معها، وتظن أنه انتهى من مضاجعتها وذهب قبل أن تأتي أنت، وستعيش طوال حياتك بحالة من الشك وربما ستطلق برأسها رصاصة.

لا تستغرب، سوف تصدق كل ذلك وتعطيني النقود، هل تعلم لماذا؟ لأن إيمانك ضعيف وأتيت إلي لأنك تأمن بهذه الخرافات)

ذهب فؤاد إلى أحد العرافين الذي وصفه أحدهم له، يصعد السلم حتى وصل الطابق الثالث، دق الباب انفتح الباب لوحده. (هذه طريقة يخدع بها العراف من يذهب له، بأن خدمته من الجن هم من يفتحون الباب، ولكن بالأصل يكون الباب معقود بخيط بلاستك رفيع لا يلاحظه أحد ولا يُرى بالعين، بسبب الظلام الذي يكون في منازل جميع العرافين. يقوم بشد

الخيط فيسحب لسان الباب ويفتحه وهو جالس بمكانه) لا علينا عزيزي القارئ لنكمل.

دخل فؤاد المنزل، كانت البداية رائحة عفنة تخرج للخارج لولا خوفه لكان وضع يده على أنفه من شدة الرائحة التي تشعره بالغثيان... سلاسل معلقة على الحوائط، مع مسابح أحجارها ضخمة كروية، شموع موزعة على الزوايا وفي منتصف الصالة، أجراس معلقة، في المنتصف يوضع بساط أحمر قديم صنع يدوياً، ورجل يجلس في المنتصف قصير القامة، ضخم الجمجمة، يحيط الشعر الأشيب الثائر بجانبي رأسه، يرتدي جلباب رخيص مغبر لا يوحي بأنه يكسب المال جيداً، ربما لا يكسب على الإطلاق بسبب هيئته ومنزله الذي أقل من البسيط، يمكنك أن ترى الرماد المبعثر من حوله.

يعتبره البعض مجنوناً، ويعتبره البعض الآخر أحمقًا، ولكن قليل جداً من يصدقه ويعتبره صاحب نبوءة صحيحة، هذا غير الذين يذهبون ويعلمون أنه كاذب ولكن يقتلهم الفضول لمعرفة إن كان ما يتنبَّأ به صحيح. اقترب منه فؤاد خائفًا مترددًا بسبب هيئته وهيئة منزله.

(جده أخبره قبل ذلك عن العرَّافين، ولكن لم يخبره عن أشكالهم وأشكال منازلهم وهو لم يقابل قبل ذلك ولا عرافًا واحدًا على الأقل)

كان فؤاد على وشك أن يتلفظ بأسماء الله ويستعيذ بالله، ولكن قبل أن يتلفظ انفجر به العراف دفعة واحدة. وقال له أن لا يحاول فعل ذلك.

في هذه اللحظة علم فؤاد أنه لا علاقة له بالعرافين، وإنما يلجأ للسحر والشياطين، وذلك ليس بشطارته بل بتعامله مع العوالم الأخرى...

أشار بيده لفؤاد بالجلوس، جلس فؤاد أمامه وهو ينظر إلى عينه التي وصلت للون الدم، قال له الرجل بصوت خشن ما طلبك وما هو سبب مجيئك إلى هنا.

أخبره فؤاد إن كان سيستطيع جمع المال ويتزوج شهد، وهل عائلتها ستوافق بذلك الزواج لأنه بالطبع من طبقة فقيرة على عكس عائلتها، وعن مستقبله.

ضحك الرجل بطريقة الاستهزاء وهو يقول له: كنت أتوقع ذلك... شاب ذو طموح وقع ضحية للحب، ولكن لا يستطيع التقدم خطوة واحدة في ذلك الحب.

صمت لدقيقة ثم قال له: أعطني يدك، مد يده فؤاد بتردد حتى قام بمسكها الرجل وقبض عليها بشدة بطريقة جعلت فؤاد ينظر له بغضب، ولكن لم يتفوه بكلمة واحدة.

من بعدها أخرج نسلًا طبيًا صغيرًا وغرزه بيد فؤاد، بينما فؤاد يشعر بالصدمة من ما يفعله ذلك المجنون، وضغط عليها نصف ضغطة حتى خرجت كمية ليست بكثيرة من الدماء من يده، من بعدها أخرج قطعة قماش صغيرة ليكتب عليها بعض الطلاسم بالأحرف البابلية لم يستطع

فهمها فؤاد، مسح بها الدماء ووضعها داخل الإناء المصنوع من الفخار أمامه.

وقام برش مادة شبيهة بالرماد فوقه، وهو يتمتم بشفتيه بطريقة غير مسموعة، ولكن شعر فؤاد أنه يردد بعض الطلاسم.

****

ذهبت شهد إلى المصحة النفسية في الساعة الثانية ظهراً، وقفت في الممر وهي تنظر لفؤاد من خلف الباب وإلى لحيته الطويلة العشوائية ووجهه الشاحب وكأنه عجوز في السبعين من عمره.

هزَّت رأسها بحزن ثم توجهت إلى مكتب الطبيب، طرقت على الباب وهي تسمع صوته من الداخل يأمرها بالدخول.

عندما دخلت ونظر لها توقف على الفور وهو يقول: أعتذر يا سيدة لم أتوقع قدومك المفاجئ، وقبل أن يسأل ماذا ستشرب طلب من تلقاء نفسه يانسون لها، ابتسمت وهي تقول له: أخبرني عن حالة فؤاد، كلما أتيت إلى هنا أراه مختلفًا عن المرة التي قبلها، لقد تغير كثيرًا ولا يهتم بنفسه.

=بالفعل لا يهتم بنفسه يا سيدة شهد، ولا يدع أحدًا يقترب منه أو يحدثه.

على وجه شهد يظهر الحزن والندم مدت يدها في حقيبتها وأخرجت عدة أوراق صغيرة وضعتها على الطاولة وقالت للطبيب: هذا ما كنت أفكر به.

ألقى الطبيب نظرةً على الأوراق ثم قال لها: من أين حصلت على هذه الأوراق؟ نهضت شهد ووقفت مقابل النافذة: من منزل فؤاد، ووجدت أيضاً عدة كتب غير مفهومة وكتبًا كتبت بلغة أجنبية وكتب أخرى لم أفهم لغتها، وبعض الكتب قديمة الشكل.

نهض الطبيب هو الآخر وطلب منها أن تذهب معه لإلقاء نظرة على فؤاد من خلف الباب.

قال وهم يسيرون في الممر: منذ عدة أيام لم يتلفظ فؤاد بكلمة واحدة.

ردت عليه شهد وهي تسير وتنظر أمامها: لنجرب أن نضع معه أحد المرضى الذين في حالة جيدة ويستطيع أن يتحدث معه ويقوم باستدراجه بالكلام.

هز رأسه بالموافقة، كان الطبيب يعلم بأن والد شهد من الأشخاص أصحاب المقامات العالية في البلد، ولكنه يدخل في سن التقاعد، وهذا ما كان يسبِّب ذلك الاحترام من الطبيب لشهد ويساعدها ويلبي ما تطلبه احتراماً لوالدها، ولكن دون علم والدها، هذه كانت وصية شهد له.

وقف الاثنان خلف الباب ينظرون لفؤاد الذي كان يقف أمام النافذة وينظر إلى الحديقة، يراقب المرضين وهم يتمازحون، وفي أحد الزوايا رجل بالأربعين من عمره يرقص ويتمايل ولكن دون موسيقا، وعلى أحد المقاعد تجلس عجوز تبصق على المارين ولكن لا أحد يعيرها اهتمامًا، نظر الطبيب إلى شهد التي كانت تنظر إلى فؤاد وقال لها: لماذا لا تحاولين أنتِ الدخول والتحدث معه.

ردت عليه شهد وهي ما زالت تنظر إلى فؤاد: ليس بعد، سأنتظر حتى يحين الأوان، ربما دخولي له سيسبب له مشاكل أكثر؛ لأنني أنا من تسبب بدخوله بهذه الحالة. سوف آتي إليه كل عدة أيام لأراه من بعيد دون أن ينتبه لي...والآن اسمح لي بالذهاب.

=العفو يا سيدة شهد يمكنك الذهاب متى تشائين.

****

عاد فؤاد للمنزل وكان القمر متضائلًا، هذا ما أكد عليه وأخبره به أحد السحرة الذي يقوم بتعليم فؤاد السحر منذ فترة بمقابل النقود. وأكد عليه أن لا يخبر أحدًا بذلك، فمجرد ما علم بذلك أحد غريب يبطل السحر.

كما أخبره أيضاً وقال له: (يعتقد أن القمر والمال مترابطان ببعضهما البعض لذلك قبل الشروع في الطقوس التي تستمر أكثر من يوم واحد ادرس بعناية التقويم القمري)

عليك أن تدفع مقابل كل شيء، في السحر يكون هذا أكثر وضوحاً مما هو عليه في الحياة اليومية، الانخراط في الأعمال الخيرية الممكنة، الصدقات، خذ الأشياء التي لا تحتاجها إلى الكنيسة أو قدمها لأحد يحتاجها، أعط كدفعة ما أنت على استعداد لتقديمه، خلاف ذلك، قد يحدث أن تختار الطاقة السحرية نفسها دفعة مقابل التدخل، ولن تعجبك هذه المدفوعات.

حافظ على الاتفاقية السحرية سارية المفعول، للقيام بذلك، قم كل يوم ببعض الأعمال لاكتساب الثروة والاحتفاظ بها، القليل من العمل الذي يتجاوز معاييرك المعتادة سوف يدل على أنك في موقف حاد للاتفاق مع قوة أعلى، ببساطة تصرف وفقاً للمثل: الماء لا يتدفق تحت حجر الكذب.

لا تطلب أكثر مما تحتاج، أطلب مليار جنيه لبطاقة اليانصيب، ليس فقط عديم الفائدة ولكن كثير الجشع الذي لا عقل له لم يجلب أحداً إلى الخير أبداً. أنت بحاجة إلى مبلغ حقيقي وقابل للقياس الكمي، هذا هو بالضبط ما تريد أن تسأله. في سحر جذب المال والثروة، تعمل هذه القاعدة بشكل لا

تشوبه شائبة، من خلال تسمية المبلغ الدقيق والإدراك الواضح لما سيتم إنفاقه عليه. فإنك ترسل إشارة إلى أن الثروة بالنسبة لك ليست غاية في حد ذاتها، ولكنها رابط وسيط في طريقك إلى حلمك. اللجوء للسحر الأسود ليس سهلاً مثل اللجوء إلى الأبيض، (قوة الظلام) تتطلب الإرادة الحرفية للطقوس كدليل على احترامها، يمكن أن تكون الأخطاء في التهجئة مكلفة، بالإضافة إلى ذلك سيكون عليك أن تزرع الشجاعة في نفسك يجب ألا تخيفك المقابر الليلية، في المقبرة يشعر الساحر الأسود بالحماية أكثر مما يشعر به في منزله.

طقوس ذات قوة خاصة، تضحيات، لا، لا داعي للتضحية بالناس، والجرأة عادةً ما تكون هذه دجاجات أو ديوك سوداء، أحياناً جرذان برية، باستثناء الأخير، تقتل هذه الحيوانات، حتى بدون السحر الأسود، من أجل الطعام، لكن قلة من الناس يتناولن العشاء بهذه الطريقة من أجل الإنسان المعاصر، حتى قتل الدجاج لا يمكن أن يسمى احتلالاً معتاداً وبسيطًا.

اختار فؤاد هذا اليوم في الساعة الثالثة فجراً ليكون القمر متنامياً، قام بإشعال ست شموع سوداء، وأطفأ الأنوار في جميع المنزل، أخرج من جيبه بطاقات(التارو) وهي أداة مقدسة ووضعها على طاولة نظيفة، ووضع قطعة من القماش خضراء مصنوعة مسبقاً على شكل مثلث (اللون الأخضر هو المال) فردها على الطاولة ووضع البطاقات في زوايا المثلث، وضع البطاقة التي تسمى شفيع السحرة (الظلام) وتعني (الشيطان) في الأعلى من المثلث،

بعدها قام بخدش إصبعه بمشرط طبي اشتراه من الصيدلية مع مطهر، أخذ الدم الذي سال من إصبعه ورسم على القماش الأخضر في وسط المثلث نجمة خماسية، في نفس الوقت كان يلقي التعويذة التي قام بحفظها.

بعد ذلك قام بلف تلك البطاقات بقطعة قماش ووضعها تحت وسادته، ذهب إلى الفراش قبل حلول الصباح. يجب عليه أن ينام قليلاً على الأقل، في الصباح كان يجب عليه وضع البطاقات في صندوق أعده خصيصاً لذلك الغرض. حيث سيجعلها دائماً مخزنة به، ووضع قطعة القماش الخضراء في محفظته يجب عليه دائماً أيضاً الاحتفاظ بها في محفظته، هذا ما تعلمه لكي يتلقى في غضون أيام قليلة أموال من أكثر المصادر الغير المتوقعة، من بعدها هيأ نفسه واستعد وذهب لعمله.

****

كان مستلقيًا على ظهره حتى سمع صوت الباب يُفتح، عدل جلسته، دخل ممرضان ومعهم رجل أدخلوه ومن بعدها خرجوا وأغلقوا الباب خلفهم. رفع الطبيب هاتفه وطلب رقم شهد ليخبرها بأنه نفذ ما طلبته منه. شكرته لما فعله وأغلقت الهاتف بعدها.

جلس الرجل على السرير المقابل لفؤاد وتبادلا النظرات لمدة طويلة دون أن يتفوه أحدهم بكلمة، حتى اعتدل الرجل بجلسته وبدأ هو الحديث وقال له: ما اسمك ؟ نظر له فؤاد ومن بعدها نظر من النافذة إلى الخارج.

قهقه الرجل وهو يقول: نحن الاثنان لسنا مجانين، يلبسوننا تلك التهمة لكي ينقذونا من الموت، على أساس هذا المكان ليس شبيهًا بالموت، يتضح أننا محبوبين ومحبين للحياة، اللعنة على هذه الحياة...

طلب منهم القادي تقريرًا بأنني مريض نفسي، وأثبتوا له أنني مريض نفسي وسجنوني هنا ورفعوا عني حكم الاعدام بسبب هذا التقرير، لو تم إعدامي لكان أرحم لي.

التفت فؤاد له حينها ووضع تركيزه معه.

ضحك الرجل مرة أخرى وهو يقول: هل رأيت، أنت أيضاً لست مجنونًا وبدأت تأخذ كلامي بجدية وبعقلانية. كانت كلمة مجنون تثير الغضب داخل فؤاد كلما سمعها ولكن كان يضغط على نفسه كي لا يختلق مشكلة.

بل أصابه الفضول مما يقوله ذلك الرجل الذي بدأ يتكلم وكأنه يعرف فؤاد منذ سنوات، ولكن اكتفى بقول: ولماذا كان سيحكم عليك بالإعدام؟

رد عليه الرجل: اسمي حسن، عمري الآن واحد وأربعين سنة، ولكن منذ أن كنت في سن المراهقة كانت أي فتاة تراها عيني تبدو بنظري عاهرة، ويجب أن أضاجعها، سواء كان برضاها أو تحت الإجبار والاغتصاب.

أقوم بخطفها إلى منزلٍ مهجور وأقوم باغتصابها ومن بعدها أقوم برميها في أقرب شارع،

ومنهم مَن أعدها بالزواج وأدخل معها بعلاقةٍ تحت مسمى الحب حتى أستدرجها إلى ذلك المنزل المهجور، وأتحكم بشهوتها، وتسلَّمني نفسها الحمقاء من تلقاء نفسها، وعندما أنتهي منها أطردها وأنا أعلم أنها لا تريد الفضيحة لنفسها أمام عائلتها، فتكتم ذلك داخلها وتذهب..

كانت الفتيات بالنسبة لي مثل كاهنات دلفي اليونانيات، أقضي معها ليلة واحدة ومن بعدها أتركها في الصباح. لا يحق لي أن أراها مرة ثانية كي لا تتحجج بالزواج منها؛ لأنني نمت معها وتلزمني أن أتزوجها. هل تعلم شيئا أيها الغريب، في هذا المجتمع يجب على كل شاب أن يعلم بأن زوجته، أو شقيقته، أو ابنته، أو حتى والدته، قد منحت نفسها لليلة واحدة لأحد غريب نال إعجابها أو أستطاع اللعب في عقلها.

وحق تلك الليالي هي أن تجرب طعم الجنس؟

وإن كانت متزوجة ستكون قد سئمت من المضاجعة مع زوجها، أو أنه لا يلبي رغباتها وشهواتها.

هذا ما استنتجته من تلك الكائنات الحمقاوات اللاتي كنت أنام معهن في تلك الليالي، حتى أتى اليوم الذي ماتت بين يدي فتاة بسكتة قلبية. كانت قد أجبرتني على اختطافها؛ لأنها رفضت النوم معي برضاها.

طلب منه فؤاد أن يخرس عن الهرطقة والكلام الذي يقوله، وهو ينعته بأنه حقاً مجنون، وكان يجب إعدامه حتى لو كان حقاً مصاب بمرض نفسي.

رد عليه الرجل بقهقهة: كلامك صحيح، أعترف بأنني كنت أفعل ذلك، وأنني نادم على ما فعلته، ولكن لم أفكر لمرة واحدة أن أقتل أحدًا. رد عليه فؤاد بنوع من الغضب: على الأساس أنك لم تكن تقتلهم وهم على قيد الحياة بسبب أفعالك النجسة.

****

بعد عودة فؤاد من عند ذلك العراف ودفع ما يملكه، كان يشعر بخوف شديد. دخل المنزل متجهًا إلى الحمام مباشرةً، قام بتعقيم يده، وهو خارج فوجئ بوجود والدته أمامه، شعرت بأنه ليس على طبيعته كباقي الأيام السابقة، وجهه الأحمر الذي يشكل جميع علامات الخوف والذعر، اقتربت منه وهي تربت بيدها على ظهره وتقول له: ما خطبك يا بني كنت أحمد الله في الأيام الماضية وأنا أراك تتغير إلى الأفضل وتخرج من ذلك الاكتئاب، أين تلك الابتسامة التي كانت ترافقك دوماً؟ ما كل ذلك الرعب الذي يملأ وجهك؟، هل تشاجرت مع شهد.

كانت تعلم والدته بعلاقته مع شهد، وتعلم أن سبب تغيره للأفضل بأن شهد هي السبب به.

إنما فؤاد لم يتفوه بكلمة، بل اكتفى بالصمت وهو يتجه إلى غرفته، دخل وأغلق الباب خلفه.

جلس على سريره وهو يفكِّر بالكلام الذي قاله ذلك العراف، أو لنَقل كان يظنه عراف، ولكن اتضح له أنه مشعوذ وله صلات بالجن على عكس ما حدثه جده عنهم.

أراح رأسه للخلف وهو يشعر بثقلٍ من كثرة التفكير بسبب ما أخبره به العراف من أنه لن يتزوج بشهد، وتلك الأحلام التي يحلم بها لن تصبح حقيقة.

****

بعد عودة فؤاد من مقابلة شهد ودخوله المنزل وهو سعيد وكأنه طائر بجناحين من تلك الفرحة التي كانت تغمره، كانت أول مقابلة له مع فتاة لم يكن حتى يتخيلها أو يتوقع أنه سيحظى بفتاة مثلها فائقة الجمال. في نفس الوقت كان يفكر كيف سيجني المال كي يحصل عليها ويعيش معها في منزلٍ واحد تحت سقف واحد. حتى والدته لاحظت تلك السعادة ترتسم على وجهه التي لم تلاحظها منذ سنين.

دخل غرفته مباشرةً وأخرج هاتفه وطلب رقم شهد، وكأنها كانت تنتظر ذلك الاتصال، لم يكد الهاتف أن يعطي إشارة أنه يتصل، ردت على الفور وقالت بصوت رقيق ..ألو.

صمت لثوان ثم قال لها: في الحقيقة أعتذر على اتصالي هذا، ولكن لأعترف أنهم كانوا أجمل ساعتين وتسعة دقائق مررت بهم برفقتك في حياتي.

ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم قالت: يمكنك أن تقول بأنني لدي نفس الاعتراف، بفضلك شعرت براحة وأنا برفقتك لم أشعر بها من قبل.

صمت قليلاً وقال بعدها: ولكن لدي سؤال يشغلني لو تسمحين أن أسألك إياه.

- بالتأكيد يمكنك أن تسأل أي سؤال يخطر على عقلك.

- ما هو عمل والدك أو ما هي مهنته؟

في الحقيقة والدي مستشار في القصر الرئاسي ولكن قارب سن التقاعد.

صمت قليلاً وكأنه ندم على ذلك السؤال، حتى أكملت كلامها: وأنت ما هي مهنة والدك؟ كان يشعر فؤاد بحيرة للرد على ذلك السؤال..

الو- الو- فؤاد هل تسمعني، ظل فؤاد صامتًا، كان يخاف أن تتغير نظرتها له لو أجابها، ولكن في نفس الوقت من كثرة ندائها له وهو لا يرد، رد عليها في النهاية: في الحقيقة والدي عامل نظافة، ولكن لا أنكر أنه أضاع سنين حياته لإكمال دراستي، نسكن في منطقة عشوائية أقل من المناطق الشعبية حتى، في منزل إيجار عبارة عن غرفتين؛ واحدة لي والأخرى لوالدي ووالدتي، وصالة صغيرة للمعيشة.

لم تكن إجابته تعطي أي تأثير لشهد، وقالت له: وما المانع من ذلك، يكفي أنه في صحة جيدة.

شهد كانت ذو حكمة، وغير ذلك قد أحبت فؤاد كشخص ليس كمعيشة ومال، ولم تنظر إلى اختلاف الطبقات التي بين العائلتين، أكملت كلامها: وأنت رغم صعوبة حياتك وصعوبة المعيشة التي كنتَ تعيشها، أكملت دراستك وتخرجت، والآن أنت بنظري أفضل محاسب.

ابتسم فؤاد ابتسامته المزيفة وهو يقول: أعترف باختلاف الطبقات بيننا، وأعلم أنه لم يؤثر عليك ذلك، ولكن...

- ولكن ماذا يا عزيزي

- سوف يؤثر على عائلتك لأنني بلا شك أقل مقام بالتأكيد من ذلك الشخص الذي يحلم به والدك ليكون زوجًا لابنته الوحيدة، أنتِ قد قبلت بي بالتأكيد هو سوف يرفض يا عزيزتي.

كانت نبرات صوت فؤاد ثقيلة بعض الشيء وهو يتكلم، حتى أنها كانت تشعر بذلك، ولتخفف عنه وتواسيه قالت بصوت رقيق يبعث النشوة والراحة: دعك من تلك التفاهات يا حبيبي ولا تفكر بها، أنت أفضل شخص رأته عيني وقابلته بحياتي، غير ذلك لدي طلب صغير. رد عليها: ما هو؟... بعد يومٍ ستقبل أنت عزومتي وسوف نتقابل في مقهى أجلس به دائماً.

ضحك فؤاد وهو يقول: أمم ما أفهمه من كلامك أنك ستقومين باسترداد عزومتي

- لا تقل ذلك أيها الأحمق أنا وأنت لا اختلاف بيننا.

- حسناً حسناً سوف أعد الدقائق والثواني حتى يحين الموعد.

****

صمت الرجل قليلاً وقال بعدها: وأنت ما هو مرضك؟ أقصد ما سبب احتجازك هنا؟

على الرغم من أن فؤاد لا يتكلم مع أحد منذ فترة طويلة إلا أنه أزاح نظره عن النافذة ونظر له قائلاً: لا أذكر شيئًا عن قبل قدومي إلى هنا، استيقظت مرة واحدة ووجدت نفسي هنا في هذه الغرفة، وكأن ذاكرتي تم حذفها نهائياً، أذكر كل شيء حصل معي هنا، ولكن قبل ذلك لا أذكر شيئا.

رد عليه الرجل: كما ترى، مصحتنا مختلفة عن باقي المصحات التي تراها على التلفاز وفي الأفلام، الجدران سوداء ومقشره، وأسرَّة مكسرة، وجميع المرضى مجانين ويتشاجرون ويرقصون في آن واحد ودون وعي.

مصحتنا مختلفة الجدران، نظيفة، وحديقتها محوطة بالأشجار، وفي غرفتنا كما ترى نافذة تطل على حديقة جميلة، وستائر مزخرفة و"كمودينو" يوضع عليه مزهرية داخلها زهور يتم تغييرها كل يوم، حتى البطانيات والأسرة نظيفة..

قال فؤاد: في الحقيقة لا أعلم ما هو السر وراء ذلك، ومن أوصل بي إلى هذا الحد أنا شخصياً، بعد فترة من تواجدي هنا أتتني سيدة تدعي أنها صحفية، لا أعلم أي أحمق قام بقبولها بالصحافة، وجهها يوحي بكل شيء إلا أن تكون صحفية، قصيرة القامة ووجهها كأنه أتت من تحت صواريخ الحرب العالمية الثانية إليَّ مباشرةً، أو كانت داخل شجار عندما كانت في المدرسة الابتدائية وأحد الطلاب نقش على وجهها خريطة الشرق الأوسط.. بدأت

تسألني أسئلة لا وجود لها في الإعراب ولم أكن أجد لها إجابة. مثلاً.. كانت تسألني: ماذا استفدتُ من استخدامي ودخولي عالم السحر؟ أو كيف دخلتُ به وما سبب تواجدي هنا... إلخ.

- وأنت ماذا فعلت لها؟ أو كيف كانت إجابتك لها؟

- لا شيء، فقط قمت بطردها ورميها بمزهرية الورود التي كانت أمامي وذهبت.

ولكن في الحقيقة، في بعض الأحيان تقودني مخيلتي بشكل متقطع، وأذكر فتاة كانت بجواري ولكن لا أذكر اسمها ولا من هي، ولا من تكون بالنسبة لي، ولكن دائماً ذلك الشعور أيضاً بأنني لو وجدتها سوف أقتلها بأبشع الطرق، وما السبب خلف ذلك لا أجد سؤال أو مغزى من قتلها بيدي.

....

بدأ فؤاد بتجهيز نفسه لتلك المقابلة الثانية، ولكن وكأن شغفه لتلك المقابلة لم يكن كما كان في المرة الأولى.

لم يكن انطفاء شهوة الحب وتجربته هو السبب، بل كان السبب بعد علمه عن اختلاف الطبقات الكبيرة بينهم، أو لأنه أصبح يرى بأن نهاية ذلك الحب لم تكن كما يحلم، وأنه سيكون مؤقتًا لا يوجد أي ترابط بالمجتمع الذي هم فيه يجمعهم.

كان ذلك الشعور بخواطر محزنة تبعث النشوة في النفس، أو أنها لذة التعذيب بذلك الحب الذي لم يبتدئ حتى..

ذلك الرجل صاحب النفس العزيزة الممزوجة بالثقل والكرامة، كان تفكيره دائماً يحاوطه بالخوف ويخبره عقله بأنه لو استطاع أن يجمع المال وذهب إلى عائلتها لطلب يدها، وإن وافقوا سيشعر طوال حياته بالإهانة وبأنه أقل قيمة منهم.

أو ماذا لو جعلوه يشعر بأنهم هم من صنعوا منه رجلًا وأنهم وافقوا على ذلك الزواج من أجل إرضاء ابنتهم ولولا ذلك كانوا حتى إن وجدوه بالشارع لا ينظرون له!.

كان الشيطان يملأ رأسه بذلك الوسواس ويحاوطه به، حتى ذلك الشعور الذي كان يشعر به في أول لقاء بينهم قد أنطفأ..

انتهى من ارتداء ملابسه وقام بتسريح شعره بالطريقة المعتادة بعد أن مسح على خصلات شعره السوداء القليل من الليمون الذي اعتصره على يده. واستعد للخروج من المنزل. خرج إلى الشارع واستقل أول سيارة أجرة رأتها عينه، وقام بتوجيه السائق إلى المكان الذي سيلتقي بشهد به..

لم يكن فؤاد يستقل سيارات الأجرة في مشاويره المعتادة مثل عمله وغيره، طوال فترة حياته كان يذهب بسيارات النقل العامة إلى عمله، كان يذهب بسيارة الأجرة الخاصة إلى لقاء شهد فقط، لأنه وبكل بساطة لو ذهب إلى

كل مكان بهم، كان مرتبه الشهري الذي يأخذه آخر الشهر لم يكمل الخمسة أيام في جيبه بعد حصوله عليه.

بعد وصوله إلى مكان اللقاء وخروجه خارج السيارة رأى شهد التي أصبح يميزها من بين ألف امراة، حتى هي عندما رأته ابتسمت وأشارت بيدها له حتى يدخل المقهى الذي اختارته هي هذه المرة. جلسوا في طاولة وضعت في أحد الزوايا التي تقع إطلالتها إلى الطريق.

اقترب أحد الندلاء منهم ونظر إلى فؤاد وهو يسأله عن طلبه؛ لأنه كان يعلم طلب شهد لذهابها الدائم إلى ذلك المكان.

ابتسم له النادل وذهب لإحضار ما طلبه بعد أن طلب منه فؤاد أن يحضر له أعشاب. وعند عودته اقترب قليلاً من أذن شهد وهمس لها بأنه قد قام بإرساله مدير المكان، وبأن ما طلبوه هذه المرة ضيافة منه؛ لأنه يعلم ابنة مَن تكون.

حاولت الرفض في البداية ولكن أشار لها من بعيد مدير المقهى بيده، وابتسمت له مع هز رأسها بالقبول، ومن بعدها التفتت إلى فؤاد وهي تسأله عن صحة والدته، أصبحت تلك الفتاة تريد أن تعلم بكل شيء يخص حياة فؤاد، مثل عمله، عائلته، أين يذهب، مع من يجلس...إلخ. روتين معتاد ومعروف بين كل اثنين يدخلون في علاقة جديدة مع بعضهما. على الرغم من ذلك كانت تشعر شهد به وما هو الجواب الذي سيخرج من فمه، الأجوبة كانت ترتسم على عينيه ومن بعدها يتفوه بها من فمه، وكانت

ردودها دائماً عليه كلمات لطيفة تخفف عن قلبه مثل، الحمد لله أنت أفضل من غيرك، هذا جيد، أحسنت، عظيم... إلخ.

وكان فؤاد يشعر بالارتياح من أجوبتها وطريقة كلماتها اللطيفة. أجابها فؤاد بعد أن شعرت بأنها لمست جرحاً ملتهباً متقيحاً ممتلأً بالصديد في روحه؛ وكأنه على وشك أن يضع رأسه على كتفها ويدخل في انهيار.

- إيمان يا شهد...إسم والدتي إيمان، ولكن هي التي دائماً تشغل عقلي، في الحقيقة يا جميلتي شهد والدتي تعاني من داء السكري، وارتفاع الضغط، وكل ما يسميه الأطباء (متلازمة التمثيل الغذائي) يجعل حياتها في خطر دائم... لا أحد بجانبها غيري، والدي من الأشخاص الذين يقومون من همومهم للوحدة، بعد انتهاء عمله يبقى جالسًا في أحد المقاهي الشعبية لوحده بالساعات برفقة سجائره التي لا تنطفئ؛ وكأنه يخرج النار التي بداخله بها، يدخل المنزل أثناء النوم فقط، ولكني أعذره على ذلك، ربما يفعل ذلك من أجل أن لا يرى زوجته التي أمضى سنين حياته يتبادلان الحب والمودة بينه وبينها. من أجل أن لا يراها وهي تنهار أمامه والأمراض تأكل جسدها وهو لا يستطيع فعل شيء لها.

لأقول لك أنهم عندما كانوا في الشباب من عمرهم كانت تدخر كل الحب الذي بداخلها له وهو يعطيها كل الاهتمام. عندما كنت في الخامسة عشر من عمري كنا نلعب سوياً أنا وشقيقي في الحديقة التي لا تبعد عن حينا الشعبي كثيراً، وعندما نظر للجانب الآخر من الطريق رأى بائع الحلوى.

طفل في الحادية عشر من عمره غرته مناظر الحلوة ركض باتجاهها دون النظر إلى الطريق وإذ بسيارة مسرعة تأخذه بعيداً عن نظري. تخيلي معي أن تري شقيقك وهو بذلك الحجم يطير بالهواء لمسافة بعيدة ويرتطم بالأرض ويفقد ما تبقى من حياته قبل أن يصل إلى الحلوى. بعدها اكتشفنا أن من قام بدهسه ابن أحد المسؤولين، ولهذا السبب لم نستطع أن نأخذ حقه من العدالة، حتى أنه لم ينظر لنا أحد وكأن قطة هي التي دُهِست. ومن بعدها أمي دخلت بتلك الأمراض ووالدي كما أخبرتك. وأنا من حينها كان لدي رغبة لكل شيء. دعيني أقول لك بأن الرغبة كشهرة الجوع. في لحظة بعينها من اليوم تتقلص معدتك وتعتصر. إذ أن رغبتك في الطعام مذهلة، وبعد قليل من الحرمان تكف معدتك عن طلب المزيد.. تغضبين كما يقول آباؤنا، ثم وقتها لو وضعوا أمامك ديكاً رومياً فلن تلمسيه، ويصبح الزهد هو كل شيء... هكذا تقلصت نفسي عن كل شيء وكسا حياتي السواد...

شقيقي من جهة...ووالدتي من جهة...ووالدي الذي لم نعد نراه إلا وهو نائم من جهة أخرى.

أصبحتُ أعود للمنزل مكتئبًا، المنزل الواهن الإضاءة.. أخدم والدتي التي تستند علي بصعوبة لتصل إلى المطبخ لتعد لنا الطعام، بالـتأكيد لم أكن أعلم إعداد الطعام، ولم يكن لدي شقيقة تساعدها هي بذلك. ما كنت أعلمه دائماً بأن إيمان ستسقط ذات يوم ولن تتكلم ثانيةً...

الخطوط المتعثرة كانت لا توصلها للمطبخ. كنت دائماً أردد: ستموت والدتك يا فؤاد وستصبح بلا والدة، وبلا حياة، وبلا زوجة، في الأساس لم تكن لدي حياة.

إنها كلماته التي خرجت بصعوبة ودموعه تتساقط كطفل صغير، وضع رأسه دون أن يشعر على كتف شهد.

حتى شهد لكي تخفف عنه ألمه وضعت يدها على ظهره واليد الثانية أمسكت بها يده التي كانت ترتعش، وقبَّلته قبلة لطيفة من رأسه.

(كل فتاة تعلم أنَّ عليها أن تقدم الطعم الأول كي تصطاد الفتى وتجلبه إلى دارها وتضعه تحت الأمر الواقع أمام عائلتها ويطلبها للزواج.

ماهو هذا الطعم؟ قبلات مسروقة؟ لمسات زائدة عن الحد؟ اهتمام زائد.

ولكن شهد لم تقصد ذلك من قبلتها له ولمسها يده. بل شعرت أنه يحتاج شيئا من العطف، الاهتمام، والشعور بأنه يوجد أحد بجانبه يزيل آلامه..

وفؤاد لم يكن يملك قلباً أو هرمونات أو رغبات جنسية، لذلك لم يكن يفكر حتى مجرد تفكير ما سبب تلك القبلة، على الرغم من أنه لم يتذوق طعم القبلة من قبل.

****

بعد عدة أيام منحت الشركة التي يعمل بها فؤاد فؤادًا مكافأة مالية، بالإضافة إلى زيادة راتبه الشهري بنسبة خمسة وعشرون بالمئة دون أي سبب.

حينها علم فؤاد أن الذي فعله بالسحر والتعويذة التي قام بإلقائها بذلك اليوم فعالة، وبأن زيادة راتبه بسببها. كانت البداية هكذا: ماذا عن المستقبل؟ (جميع من يدخل عالم السحر في البداية ويتلقى الطعم الأول المعلق بالسنارة التي سيسحب به إلى القاع، يعتقد بأن السحر بهذه السهولة، وأنه أصبح خارق يستند على قوة تحميه من كل شيء.

ولكن ماذا عن عقوبة الله؟ وماذا عن أن الله يمهل ولا يهمل؟ وأنه يترك في بداية الأمر باب للتوبة ليعود منه الفرد إن عصاه. وأن السحر كفر.

ويقول الله –جل وعلا في سورة البقرة في الأية **102**بعد قول بسم الله الرحمن الرحيم: (واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانَ ولَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ)

فدل على أن السحر حرام، والواجب على من يتعاطاه التوبة إلى الله، من مات على سحره صار كافرًا من أهل النار؛ لأن السحر من آثار دعاء الشياطين والاستغاثة بالشياطين واللجوء إليهم.

على الرغم من طيبة قلبه وعقلانيته وهدوئه إلا أنه دخل الآن في شرك، وسيدفع ثمن ذلك ويعاقب عليه..

ولكن فؤاد لم يفكر بتلك الأشياء، ولأنه قطع على نفسه عهدًا بعد أن أصيب باللعنة التي تسمى الحب، كان هدفه هو كسب المال، وأنه سيفعل أي شيء ومهما كانت عواقبه حتى ينتصر على ذلك الحب.

بدأ الطمع يسيطر عليه أكثر وأكثر وتسحب السنارة به إلى القاع أكثر في كل مرة. أما هو فقد بدأ يعلم بأن السحر الأسود سوف يساعده في العثور على المال إذا كان شجاعاً بما يكفي لطقوسه. انتظر حتى حل الليل وذهب إلى مقبرة مجاورة لكنيسة (وكان يجب عليه كما أخبره أحد المشعوذين أن يذهب ويعود دون أن يتحدث مع أحد حتى لا يبطل السحر)

أخذ معه قطعة معدنية من النقود وبدأ يبحث بين القبور عن شخص اسمه يكون مقاربًا لاسمه حتى عثر على قبر يكتب عليه اسم قريب من اسمه..

كان الوقت قارب على الساعة الثالثة في منتصف الليل، وضع قطعة النقود المعدنية على القبر وهو يردد بصوت خافت (أسمودوس، *****، أستارون. افتح أبواب الظلام، أعطني الذهب والثروة ، ****، أسكب عند قدمي ذهب، ذهب، تمسك بيدي)

بعد انتهائه من إلقاء التعويذة، ابتعد عن القبر دون أن ينظر خلفه.

(كان يعلم بأن قوى الظلام تحب اختبار أولئك السحرة المبتدئين، إذا أظهر خوفه أو جرى، في أحسن الأحوال سوف يعتبر غير مستحق لهدية الثروة، وأنه لن يكون قادراً على الانخراط في السحر الأسود في المستقبل، في أسوأ الأحوال من المحتمل أن يفقد عقله وربما حياته...

عاد إلى المنزل، لاحظت والدته عودته في الفجر وخرجت تسند نفسها على كل شيء حولها لم تكن تتعود أن يعود في أوقات متأخرة كهذه. نظرت له ولكن قلبها لم يكن مطمئنًا من عودته وخصوصاً بسبب احمرار عينيه والتجاعيد التي بدأت ترتسم على وجهه بسبب قلة النوم، والملامح التي أصبحت باهتة.

من أجل أن لا يلفت الأنظار قال مازحاً: إيمان ما زالت مستيقظة ترى ما الخطب من ذلك أم أن زوجها العزيز تركها تسهر لوحدها ونام هو. ضحكت ضحكة متصنعة وقالت بعدها: لماذا لم تذهب إلى منزلك أم أنك تخبِّئ مصيبة لا تريد إخباري بها؟.

هرش برأسه وتذكر لوهلة أنه بالفعل لم يذهب إلى منزله ولا يعلم كيف ساقته قدمه إلى منزل عائلته، ربما كان بسبب خوف صغير داخله أنساه العودة إلى المنزل.

صمت لدقيقة ثم قال لها: بالحقيقة تعمدت أن آتي لكي أطمئن عليك وعلى والدي ولكي نتناول طعام الفطار معاً قبل أن يحين موعد عمل والدي ويستيقظ.

ردت عليه: في الحقيقة والدك مستيقظ. ابتسم وهو يقول لها: إذاً هذا جميل ويعني أنني سأتناول أجمل فطار من يد أجمل امراة رأتها عيني ...هيا تعالي لنعده معاً أمسكها من يدها وتوجه بها إلى المطبخ. كانت والدته ترى وتشعر أنه لا ينام بسبب القلق الظاهر على وجهه والإدرينالين الذي يتدفق في دمه. كانت ترى العيون المحمرة والجفون المنتفخة التي لم تذق النوم. بينما هو كان يشعرها بأنه ذو بنية قوية وصحة جيدة.

انتهوا من أعداد الطعام ونهض والده بعد أن ناداه هو، جلس والده في رأس طاولة الطعام بينما جلست والدته على اليمين وهو مقابلها، كان هو يأكل وهي تتأمل به. (قلب الأم يشعر- ابنها ينام ساعات لا تكفي في اليوم، يتناول الطعام والشراب، إن كان في صحة جيدة أم لا، حتى إن لم تكن تراه في كل يوم حتى في بعض الأحيان أعتقد بأنها تشعر أن نبتت شعرة جديدة في لحيته، أن الله وهبها تلك الميزة وتلك الفطرة داخل قلبها مجرد أن رأت أول طفل لها)

انتهوا من تناول الطعام، ونهض هو وأخذ الأطباق إلى المطبخ، وأعد ثلاث أكواب من الشاي وعاد لهم، وفي طريقه إليهم شعر بصداع ودوران في رأسه لم يشعر به من قبل.. توقف لثوان ثم أكمل نحوهم حتى لا يشعروا، حاول إنهاء كوبه على الفور وانصرف.

****

رجل ضخم ذو رأس أصلع مدور، وشارب كثيف لا يليق بلحيته الرفيعة الخفيفة، يجلس خلف مكتبه يأمر أحد الرجال الواقفين بتتبع وملاحقة فؤاد، كانوا يتتبعون جميع خطواته منذ أن رأوه يخرج من أحد المنازل التي يعلمون أنها تعود للدجالين والمشعوذين لعدة مرات.

إنه المحقق خالد، رجل لا يعلم ما هي الرحمة، ولكن في نفس الوقت رجل سياسي وذو حكمة في عمله، لم يفشل بأي قضية وضع يده بها، تم تعينيه حديثاً في هذه المنطقة.

طلب كل شيء متعلق بفؤاد، متى يأكل، أين يذهب، ماذا يعمل، متى يدخل المرحاض، ما لون ثيابه الداخلية- كل شيء بلا استثناء.

لم يعد فؤاد حراً في ذلك الوقت، وكأن حياته أصبحت ملغومة، يجب أن يحترس بكل خطوة يخطوها، هناك من يعد أنفاسه وعدد مرات تبوله في الليل، شخص يعمل محاسب في شركة بسيطة أصبحت تظهر عليه علامات الثراء، ورؤيته كثيراً أمام المنازل التي يضعون عليها إشارة بأن من يقنط بها ساحر أو دجال هذا يعني أنه انضم لهم، ولكن لا يوجد أي إثبات حتى الآن. دخلوا في مرة إلى منزله ووضعوا أجهزة تنصت في غرفة نومه، في حمامه، لم يتبقَّ إلا القليل حتى كانوا يأخذون صورة هولوجراية عارية له. ولكن فؤاد بعد تعمقه بتلك الأمور والانخراط بها أصبح لديه أتباع وخادمين، حتى أنهم هم من أخبروه بذلك، من بعدها أصبح أكثر حرصاً،

ولكن لم يستطع مثل الماضي إعداد حفلات الطقوس الخاصة به وتحضيرهم متى شاء.

ذات مرة رأوه يجلس مع شهد والتقطوا صور لهما، عندما رآها خالد أمرهم أن يبحثوا ويحضروا كل شيء متعلق بحياتها.

في صباح اليوم الثاني قرع مكتب خالد، ودخل أحد الرجال وقال لخالد بعد إلقاء التحية بأنه أحضر ملف كامل عن شهد. أشار بيده خالد بأن يتحدث دون أن ينظر له.

شهد حسن يا سيدي، والدها يدعى حسن عبد المجيد، مستشار في القصر الجمهوري، محامية تخرجت حديثاً، ولكنها من الدرجات الأولى، على علاقة عاطفية منذ ثلاث سنوات مع الشخص الذي يدعى فؤاد. تجلس كل يوم ثلاثاء مع فؤاد بين الساعة التاسعة صباحاً والحادية عشر صباحاً في مقهى يقع في وسط المدينة حسب ما أخبرنا به النادل.

شهد حسن يا سيدي ليست من الفتيات التي تهوى الجنس، ولا تتحدث مع فؤاد لأي غاية من تلك الغايات حسب ما تم إخبارنا به، مرة واحدة فقط منذ سنتين أعطته قبلة من رأسه بعد أن وضع رأسه على كتفها لأنه حينها كان ينهار من البكاء لأسباب مجهولة لا نعلمها، لم يتقدم بالزواج لها حتى الآن بسبب وضعه المادي، عندما تعرفا على بعضهما لم يكن يلجأ للسحر بعد، وكان مجرد محاسب، الآن هو صاحب ثلاث مكاتب مخصصة للعقارات والبناء ولكن والده توفي منذ ثلاثة أشهر بجلطة قلبية، ووالدته

عاجزة عن الحركة منذ سنة، حتى أنه أحضر لها خادمة في العقد الثالث تقوم بخدمتها.

اسمها شهد حسن يا سيدي تحبه لقلبه وطبعه، بنظرها هو كل شيء، على الرغم أنه عندما رأته لأول مرة لم يكن يمتلك شيء.

تقدم لها عدد من الشباب للزواج من أصحاب المناصب أو آبائهم من أصحاب المناصب ولكن رفضتهم جميعهم خشية من أن تخسر فؤاد، على العلم بأن والدها لا يعلم بذلك.

اسمها شهد حسن يا سيدي، امراة حسناء تبلغ من العمر الثامنة والعشرين، والدتها ماتت وهي في الثامنة من عمرها، لديها شقيقة تكبرها بأربع سنوات متزوجة ولديها طفلين، زوجها ضابط في القوات البحرية، شهد هي المتبقية في منزل والدها وهي كل ما يملك...

في أحد مكاتب فؤاد كانت توجد غرفة داخلية لا يسمح لأحد أن يدخل إليها، قام بتصميمها خصيصاً ليعد بها طقوسه الخاصة، لم يعد يفعل ذلك في منزله لأنه أصبح يعلم بأنه مراقب.

اتصل به أحد الأشخاص ورد عليه ليخبره بأن المنزل الذي أخبره به منذ فترة صحيح كما كان يعتقد، وبأن المنزل بالفعل دفن تحته صندوق ممتلئ بالذهب كما نقلت الأخبار بالعائلة زمن بعد زمن، وبأنه جلس مع أحد أفراد العائلة التي تملك المنزل وهو أكد له، وبأنهم هجروا المنزل منذ فترة كبيرة بسبب أمور مخيفة وأصوات غريبة كانت تحدث معهم في كل ليلة.

أغلق فؤاد هاتفه وهو يفكر كيف سيدخل المنزل، وهل سيجد الصندوق بالفعل، ربما يكون مرصودًا من قبل الأشخاص الذين دفنوه بذلك الوقت، طلب فنجان قهوة وجلس يفكر بطريقة الدخول وهو يهرش في فروة رأسه، وينهض يذهب لآخر المكتب ويعود ويجلس وينهض من جديد، نفس الشيء، حتى ابتسم عندما تذكر بأنه يعرف شخصًا متخصصًا بتلك الأمور، وبأنه محمي من ضمن خدم من الجن له تساعده بإخراج تلك الأشياء دون خوف أو تعب.

ولكن فكر بعدها أن ينتظر لفترة أخرى لكي يبعد الأنظار عنه، وحينما يعلم بأنه لم يعد مراقبًا من قبل أحد، ينقض على ذلك المنزل ويذهب لطلب شهد للزواج.

انتظر حتى ذهب الموظفون واتجه إلى غرفته الخاصة التي صممها على الطراز العربي، سجادة من الصناعة اليدوية، يحاوطها مجلس عربي للجلوس وستائر مزخرفة وأضواء خافتة لكي تساعده..

أشعل الشموع وهيأ نفسه لاستحضار أحد الخدم الخاص به وهو يردد: (أجب يا مذهب ما أعظم سلطان الله، احترق من عصى بناره الموقدة-*****-خنوفً- أهيا***** ارونای صباؤت-الٍ شدای یاهٍ- *****-ما أعز أصباؤتا القديم الأزلى-أجب يا**** سبوخ بسبوح-قدوس*** رب الملائكة والروح- أجب بحق الملك ******الذي تسرع إلى خدمته********

وانظر إلى ذلك المنزل الذي يكتب على هذه الورقة المشتعلة مما يدفن به من مال وذهب في الساعة هذه الوحا العجل الساعة)

بعد انتهائه خرج على الفور خلف الموظفين كي لا يلفت الانتباه لمن يراقبه، وسار في شوارع المدينة بشكل طبيعي، ذهب إلى والدته ليطمئن عليها، ومن بعدها عاد إلى المنزل.

فؤاد تطبع بالخبث كذئب ثائر يسير بين الشوارع وعينه ترى كل شيء حوله بعد أن بدء يظهر بأن كل تحركاته طبيعية، ولا يوجد أي صلات له بالسحر بسبب روتينه المعتاد، وفي جميع الأحوال داخل منزله عدة أجهزة تنصت ترصد جميع تحركاته الطبيعية.

يدخل المنزل، ينتهي من الاستحمام، يجلس في الصالة، يحضر فلم أو نشرة أخبار، يدخل لمرتين إلى المرحاض في اليوم، يأكل وجبة واحدة، ينام في الساعة الثانية عشر، يستيقظ في السادسة صباحاً، كل شيء طبيعي.

.....

الساعة الثالثة عصراً، منزل في أطراف المدينة يعتبر في المناطق الزراعية، منزل من الطراز القديم مكون من طابق واحد تحاوطه الأشجار الطويلة، مهجور يظهر على هيئته من أكثر من خمسين سنة، أثاثه قديم مغطى بالغبار، صالة متوسطة في نهايتها ممر يوجد أربع غرف من الجانبين، والحمام والمطبخ في نهايته، كل شيء في المنزل طبيعي، دخل نديم المطبخ

وصاح على فؤاد بعد أن وجد بابًا صغيرًا في زاوية المطبخ، فتح الباب ودخل وخلفه فؤاد.

الباب الصغير يطل على حديقة ليست كبيرة جداً ولكن يكسوها الخضار لسبب إهمالها منذ زمن، في زاوية الحديقة يوجد كمية من الخردة والأثاث الغير صالح للاستخدام. يقف أمامهم نديم الذي استعان به فؤاد، وبجانبه فؤاد، أخبره فؤاد أنه من المؤكد أن الباب الذي سوف يوصلنا إلى الأسفل هنا، نزع فؤاد عنه الجاكيت الذي يرتديه ونديم كذلك وبدؤوا بنقل الخردة من الزاوية، بعد الانتهاء لاحظوا بابًا حديديًا صغيرًا يتسع لدخول شخص واحد فقط. قام نديم بفتحه، خلفه كان يوجد سلم حديدي للأسفل بعشرين درجة، قام بعدهم نديم وهو ينزل إلى الأسفل وخلفه فؤاد الذي يخوض تجربة مثل هذه لأول مرة..

مكان دافئ بعض الشيء برائحة "عطنة" بسبب المياه المترسبة بداخله، نفق بطول خمسين متر بنهايته ممر آخر يأخذ للاتجاه اليمين، ينقش على جدرانه عبارات غير مفهومة، لم يستطع فؤاد قراءتها ولا يعلم لأي زمان تعود تلك النقوش، بعد الانتهاء من الممر الأول والالتفاف إلى الممر الثاني، شعروا بهزة بسيطة تحت أقدامهم، الخوف كان يسيطر على فؤاد من الداخل على عكس نديم الذي تأقلم على أشياء مثل هذه بسبب أنها مهنته، ورأى ما هو أسوأ من ذلك. دخان أبيض يختلط في أجواء المكان وكأن الجدران تنطبق عليهم.

حاول فؤاد العودة إلى الوراء، ولكن صدم من منظر ما رآه، هيكل على هيئة شخص كبير ولكن لا يوجد أي ملامح له، يقطع الطريق عليهم والدخان الأسود يتصاعد من حوله ويلتف حوله. طلب نديم من فؤاد أن يجلس على ركبتيه ويغمض عينيه. بينما جلس نديم هو الآخر وبدأ يردد كلمات لم يستطع فؤاد فهمها حتى خرج من خلف الشخص الذي ظهر دخان أبيض، واختلطت الأدخنة ببعضها واختفت في جزء من الثانية.

نظر نديم إلى فؤاد الذي كاد أن يتبول في بنطاله من ذعره، وقال له ضاحكاً: يمكنك الآن أن تقوم بفتح عينيك فقد عاد كل شيء على ما يرام.

في نهاية الطريق باب صغير مزخرف مجرد ما قام بفتحه نديم ظهرت رائحة جعلت الاثنان يعودان إلى الخلف، وقاما بتغطية فمهم وأنفهم بأيديهم، كان مصدر الرائحة من تلك الجثة الموضوعة في منتصف الغرفة على طاولة حديدية وملفوفة بقماش، كان منظرها أُقرب إلى المومياء الفرعونية، ولكن هذه تآكلت ولم يبق مكانها إلا عظام وأثر. بجانب الجثة كان يوجد صندوق أصفر اللون تآكلت أطرافه بالصداء، تلتف حوله أفعى سوداء كبيرة، نظر إليها نديم وهو يشير بيده عليها ويلقي بعض العبارات، وهي تخرج فحيحًا بصوت أعلى من صوت فحيحها الطبيعي، وكأنها تصرخ من الألم. حتى اندلعت النار في منتصفها وتحولت إلى رمادٍ أسود. كان الأكسجين في الأسفل ضعيف، حتى أنهم كانوا يأخذون النفس بصعوبة إلى

داخلهم ويحبسونه، ومن ثم يخرجونه وكأنهم داخل الماء، اقترب نديم ويتبعه فؤاد الذي لم يعد يستوعب ماذا يحصل.

قام بفتح الصندوق، بينما فؤاد قد سقط فكه السفلي لا شعورياً، وأصيب بالدهشة، سبائك ذهب وعملات ذهبية ومجوهرات، لم يكن حتى يتخيل بأنه سيصل إلى ذلك الكم الهائل، حتى نديم بعد أن رأى كل ذلك الذهب غيَّر اتفاقه على الفور وقال لفؤاد: اتفقنا أنا وأنت على أننا سنتقاسمه بحيث أنا الثلاثين بالمئة وأنت تسعون في المئة، لكن الآن سيكون الاتفاق كالتالي أنا خمسين في المئة وأنت كذلك.

قبل أن ينفجر في وجهه فؤاد أخرج نديم مسدسه وقام بتوجيهه على وجه فؤاد على الفور وهو يقول له: حسناً لا مانع؛ الرصاصة مجهزة مجرد الضغط على الزناد سوف ينفجر رأسك هنا، ولن يشعر بك أحد، وسوف أحصل على كل شيء هنا لوحدي.

هزَّ فؤاد رأسه بالموافقة، وهو يرفع يده حتى أخفض نديم مسدسه، والتفت وتوجه نحو الصندوق، بتلك اللحظة أخذ فؤاد من على الأرض حجرًا كبيرًا واقترب من خلفه بخطوات بطيئة وضربه على رأسه عدة ضربات بكل قوته حتى انفجر من ضغط تلك الضربات وتفتت رأسه.

من بعدها ألقى الحجر على الأرض وهو يصفع وجهه على ما فعله، طيلة حياته لم يؤذِ أحدًا حتى بالكلام، كيف فعل ذلك، ومَن قام بتوجيهه؟ لا يعلم، وكأن أحدًا قام بتحريكه كالدمية وسيطر عليه دون أن يشعر.

سيدي منذ ثلاثة أشهر حتى اليوم ونحن نقوم بمراقبة فؤاد، ولم يظهر عليه أي دليل أو إثبات أو تحركات غير طبيعية.

يقضي جميع أيامه بشكل طبيعي وبروتين مكرر، الشيء الوحيد الذي غير روتينه به أنه قابل شهد منذ شهر فقط. حسناً لنتوقف عن مراقبته لمدة خمسة عشر يوماً ربما شعر بأن أحد يراقبه، ومن بعدها نعود كما كنا. كان قائل ذلك الكلام هو خالد وهو يقلب بالمستندات التي أمامه على المكتب.

دخل رجل آخر وقال بعد إلقاء التحية: السيدة شهد حسن أتت وهي تنتظر في الخارج، توقف خالد على الفور وهو يقول: أدخلها على الفور، لا تدعها تنتظر بالخارج.

دخلت شهد والتف خالد على الفور من خلف مكتبه وهو يستقبل شهد ويصافحها وجلس على الكرسي الذي بمقابلها احتراماً لها.

وهي تنظر له وتقول: لماذا اتصلت بي واستدعيتني إلى هنا؟

- قبل الحديث بشيء هل تريدين أن تشربي شيئا؟

- لا... أريد معرفة قدومي إلى هنا وطلبك بأن لا أخبر والدي بذلك؟

- في الحقيقة طلبت منك ذلك لأنني أعلم بأن والدك لا يعلم بشيء

- وبخصوص ماذا

- بخصوص فؤاد

تغيرت نبرة صوتها - فؤاد؟؟ وماذا حصل لفؤاد. وأين هو الآن

- لا لا لا يا سيدة شهد فؤاد لم يحصل له شيء، ولكن كنا نراقبه منذ عدة أشهر بعد أن ألقينا القبض على أحد السحرة وقمنا بمراقبته لأننا اكتشفنا أنه ذهب إليه لأربع مرات متتالية في فترات قصيرة.

- ولكن فؤاد لا يدخل نفسه بتلك الخرافات وأنه مع نفسه دائماً ليس لديه شيء سوى عمله ومنزله، حتى أنني لم أعد أقابله مثل الماضي بسبب كثرة انشغاله. فؤاد يا حضرة المحقق يبدو بشكل مختلف. يفكر بشكل مختلف، يتحرك بشكل مختلف. حتى أنه يخرج برفقتي بشكل مختلف. لا يبرز ما يفكر به. لم يعتد أن يتسول بآلامه وسقمه.

سألها خالد بلهجة علمية محايدة: (هل أخبرك بمصدر كسبه لجميع تلك الأموال؟)

ردت على سؤاله بغضب: فؤاد -يا حضرة المحقق- رجل مجتهد في عمله، قد عمل طوال حياته حتى يصل إلى ما هو عليه الآن، إنني أعترف أنه كان مجرد محاسب بسيط وهذا لا يعني ألا يطور الإنسان من نفسه ويطور من حياته. وقد افتتح مكتبًا صغيرًا ومن بعدها -ومن أعمال المكتب- افتتح مكتبًا آخر وآخر حتى أصبح صاحب ثلاث مكاتب، وهذا كله باجتهاده.

- ولكن يا سيدة، المعروف هو أنه (ما جمع مال إلا وجمع من شح أو حرام)

-حضرة المحقق فؤاد لم يكن بخيل ولم يكن يدخل نفسه بسكك الحرام

- على العموم يا سيدة شهد سوف نعود لمراقبته من جديد. وأطلب منك أن تتقربي أنت منه أكثر وتحاولي معرفة كل شيء أنت عنه أكثر، اجعليه

يكسب ثقتك أكثر، أدخلي بكل شيء متعلق به اشتري أنت منه الكلام، وإن واجهتي أي قلق أو أثر حول عبثه بأمور السحر أرجو منك أن تخبريني بجميع التفاصيل. ودعيني أعترف لك أنني سوف أحضره إلى هنا للاستجواب لا أكثر، لا تقلقي، وإن لم نخرج منه بشيء سوف أدعه يذهب، نحن لم نفعل أي شيء له؛ لأننا نعلم أنك بجانبه، وإن اتضح أنه فعلاً له علاقة بتلك الأمور فأعتذر، سوف أقوم بمحاسبته تحت القانون، وأتمنى منك أن لا تخبريه بشيءٍ عن سبب قدومك إلى هنا وبأننا نراقبه.

.....

أوقف فؤاد سيارته أمام أحد مكاتبه بعدما عاد من المكان الذي خبَّأ به ما أخرجه من ذلك المنزل، كانت الساعة قد قاربت الثامنة مساءً.

خرج خارج السيارة التي قد اشتراها بالقسط...للحظة توقفت أمامه سيارة من نوع فان سوداء ونزل منها مجموعة رجال وضعوا كيس قماش أسود على رأسه وقاموا بجره إلى سيارتهم، حاول مقاومتهم ولكن لم يستطع.

بعد ساعة من وصول السيارة إلى مكانها وإنزاله منها ودخوله إلى بناء، فكوا الكيس عن وجهه. وجد نفسه يجلس في غرفة خافتة الإضاءة، يوجد ضوء سقيم كئيب يأتي من أعلى رأسه ينصب عليه، مما يجعل الباقي يرونه في النور بوضح تام لكنه لا يراهم، يرى وجههم في ضوء رمادي مزرق.

يقوم بدق أصابعه على الطاولة بشكل منتظم من الخنصر إلى السبابة، فيخرج صوت ليس بعالٍ جداً ولكنه مزعج يجعل فؤاد يشعر باستفزاز وتوتر.

خالد هو من كان يفعل ذلك وهو يجلس أمامه.

لماذا أحضرتني إلى هنا؟ ومن أنت؟ وماذا فعلت حتى تحضرني بتلك الطريقة؟، قال فؤاد تلك العبارة، بينما خالد ينظر له باشمئزاز دون الرد عليه حتى يغضبه أكثر.

(جميع المحققين تقريباً يفعلون ذلك...يشعرون باستمتاع وهم يتعاملون ببرود...بينما الذي يكون أمامهم يشتعل بركان غضبه بداخله مما يعيشه من توتر.

لا شك أنهم يحبون هذا، لا يريدون المعرفة، يريدون سماع الصرخات، يريدون لذة القدرة....

وراء هذه الإجراءات والغموض والتظاهر بالأهمية، لا يوجد شيء، سادية تمتد كصحراء مظلمة في مرمى البصر، صبية يتلذذون بتعذيب سحلية وجدوها لا أكثر)

- هل تحب الكهرباء

-أحضرتني إلى هنا من أجل ذلك السؤال؟...

- أجب بنعم أو لا

-أجل أحبها...

حسناً المزيد من الكهرباء...والصواعق تخرج من عينيك...من أذنيك...أنت زيوس الذي يقصف الصواعق من غضبه، وأنت لا تملك أن تخاف أو تغضب حتى...بعدها ينزعون الأضافر بالكابلات...يضربون ظهرك بالسياط...اللحم يتمزق...أنت ستصبح جرحًا كبيرًا مفتوحًا عملاقًا...وفيه ينصب الحمض والخل والبحر المالح.

يعلم فؤاد بأن هذا النوع من الناس حمقى وشديدوا الفظاظة والغباء...هم يتمتعون بالخرق والبلاهة والقوة.. وبأنه لن ينجُو منهم ولكن يجب عليه أن يبقى هادئ ومتفهم كل سؤال سوف يلقى عليه حتى يستطيع أن يخرج من تلك التفاهات التي وقع بها.

يوجد ذهب ينتظره بالخارج سوف يغير مجرى حياته وسيتزوج شهد أخيراً، لن يرتكب أي خطأ يدفن نفسه به خلف القضبان، بعدما وصل إلى تحقيق حلمه، سوف يضع كل جهده وذكائه وهو يجيب على كل سؤال يطرح من المحقق، الذي يتكلم بطريقة يكاد أن ينفجر منها ويعدم لأنه قام بقتل رجل حكومي.

رد على أسئلة خالد بكل برود وذكاء وقال له: أنا لست بطلاً من هؤلاء الرجال...لا أقدر على تحمل أول صفعة أو أول لفافة تبغ يطفؤونها في حلمتي...صدقني سوف أعترف وأجاوب عن كل سؤال سوف تطرحه علي.

حسناً يا فؤاد السيد أحمد لنبدأ من الصفر

- ما هي مهنتك الأساسية

-مهنتي الأساسية محاسب في شركة

- والآن ماذا تملك

-أملك ثلاث مكاتب وسأبيعهم في الأيام المقبلة لأقوم بتوسيع عملي

- ومن أين أحضرت تلك الأموال

ضحك فؤاد وهو يقول ...لكل مجتهد نصيب

- حدثني عن حياتك السابقة

-حضرة المحقق، أشعر وكأنني في لقاء غرامي. على كل حال سوف أخبرك بكل شيء

كنت دائماً، أنا الفاني بما عرفت، ولات حين مناص، جائعاً مسغباً كنت فامتلأت حتى قاربت على الانفجار، قد ارتقيت دوائر أعلى فأعلى، حتى صرت في قمة موحشة ثلجية، كنت أخشى أن يتبعني أحد، لكني لا أقدر على العودة للأسفل...ربي قد وهبني نعمة النسيان، وأعادني طفلاً عزيزاً كما كنت وكما البشر من حولي...قد تحملت آلام الماضي وقسوة الحاضر ووحشة المستقبل، علمت من أين جاءت الريح وإلى أين ذاهبة. ورأيت ميلاد الباكرين وكذا رأيت نهايته. لم يعد هذا عقلي وإنما هو حياة نابضة. إن العذاب الذي أعانيه لا يوصف. لكم من مرة فكرت أن أنتزع حياتي بنفسي، والحمد لله أنني لم أوفق. لكن الألم شديد وأنا لم أخلق من طينة الأبطال. في كل فجر تنشب الحرب العالمية الجديدة تحت جمجمتي وأحاول أن أنسى. كنت أعلم بأن الذبابة إن دنت من النار أكثر من اللازم احترقت.

والبئر إذا امتلأت فاضت وأغرقت القرى والسهول وفتكت بالجميع...كنت أدعي ربي وأقول: هبني النسيان يارب أو أمتني...أمتني، فأنا لا أملك الشجاعة كي أمحو وجودي بيدي...أخاف سكرات الموت وعقوبة الجاحد بفضلك...وأنا أومن بالعرافين...أؤمن بأن بعض الناس قادرون على رؤية ما وراء الحجب واستكشاف الغيب، هذا ليس عيباً وأدولف هتلر كان يثق بكلام عرافيه. حتى ذهبت إلى أحد العرافين منذ ثلاث سنوات وهو من نبَّأني بأنني سوف أصل إلى هذا الحال والحمد لله أخذت كلامه كهدف ووصلت له.

لم يأخذ خالد كلامه على محمل الجد، وقال له: أغلب العرافين مجانين أو يلجؤون للسحر، وتكون نهايتهم وخيمة، ولكن أنت تقول أنك كنت أمام حالة تنبُّؤ حقيقية وثابتة. كان يقول تلك العبارات وهو يلف لنفسه سيجارة تبغ ويضع قدمًا على قدم.

رد عليه فؤاد ببرود: إن ما يمكن أن يقدمه هذا الذي تقول عنه مريض أو مجنون، يمكنه أن يتنبأ بأي محاولة قذرة أخرى...يمكنه أن يعرف من سيحاول الفرار خارج الحدود، ومن سيسلقنا بلسانه في صحف الغرب، ومن سيحاول أن يقلب العمال والطلاب علينا، ويعلم من الذي سيفوز في الانتخابات القادمة....

****

شهد كانت تعلم بأنه لم يكن يعترف لهم بشيء، وبأنه أساساً لم يفعل شيء، وأنه ليس أنبوب معجون أسنان، مجرد أن تم الضغط عليه يخرج أشياء فعلها أو لم يفعلها تحت الضغط، وهي تعتقد أنه لم يفعل شيء، وأنها مجرد تهمة قد اتهمه بها أحدهم.

إنه أقرب لزهرة يحتشد عليها الندى، قد تتساقط منها قطرة من حين إلى آخر، رغم علمها أنهم سيحاولون اعتصار تلك الزهرة بكل قوتهم ليتساقط منها أي شيء..

أخرجت هاتفها واتصلت بفؤاد لكي تعلم منه إن قام خالد بتنفيذ ما قاله أم لا. كان هاتف فؤاد مغلق لمدة خمس ساعات متواصلة وهي تحاول تكرار الاتصال، ومن بعدها بدأ هاتفه يرن لكن دون إجابة منه.

حتى أجاب على اتصالها أخيرًا، وبمجرد وضع هاتفه على أذنه انفجرت به بصوت عالٍ وصرخات لم يسمعها منها من قبل. وهو يحاول تهدئتها ويخبرها أنه بخير وأنه لم يقصد أن يغلق هاتفه. ولكن كانت تريه أنها لم تقتنع بكلامه ويوجد أمر لا تعلمه أجبره على إغلاق هاتفه.

- حسناً حسناً سوف أخبرك بكل شيء، أعلم بأنك لن تنهي هذه المكالمة قبل أن تعلمي كل شيء. أغلقته لأن أحد الجهات الأمنية استدعتني وحققت معي بأمور تافهة لا وجود لها.

=وما هي تلك الأمور؟ كانت تسأله وهي بحالة غضب. حتى أخبرها هو بأنه بخير وأن تهدأ قليلاً من الغضب الذي هي به. في جميع الأحوال الآن الوقت

قد تأخر كثيراً سوف أدعك ترتاح قليلاً وفي الساعة التاسعة صباحاً سوف نتقابل في المكان المعتاد...

- حسناً كما تريد أميرتي صاحبة العيون الملائكية..

أغلق الهاتف وهو يفكر كيف سيخرج ذلك الذهب ويقوم ببيعه دون أي مشاكل.

بينما شهد كانت تنتظر الصباح حتى تراه وتطمئن أكثر عليه من أجل أن لا يكون لمسه أحد.

حل الصباح وحان موعد اللقاء، ومجرد رؤيته لا تعلم كيف أصبحت بين ذراعيه. وانفجرت تبكي ذعراً...دموعها الساخنة تبلل كتفه...ولعابها يغمر صدر قميصه- يظهر عليها الهشاشة...الضعف...الاحتياج...

أما هو فلكي يقوم بتغيير الموضوع ويخرجها من حالة البكاء قال لها مازحاً: كل امرأة يمكنها أن تحصل علي بهذه الطريقة.

ضحكت ضحكة مزجت بين الراحة والغيرة، وهي تمسح بمنديلٍ دموعها التي على وجنتيها وتقول له: لا تعلم كيف كان الليل طويل وكيف انتهى ...حتى أراك.

طول فترة علاقتهما ما زالت بنفس جمالها وطول شعرها وبريق عينيها ونضارة بشرتها. بينما فؤاد الذي أصبح وجهه ممتلئا بالتجاعيد ومحمر العينين ولحيته شائبة شبه نامية، رغم عمره الذي لم يتعدى الرابعة والثلاثين.

جلسا على طاولتهما المعتادة وأحضر لهما النادل مشروبهما المعتاد، وبعد أن ارتشفت أول رشفة من كأسها قالت له: هيا أخبرني بكل شيء من الألف إلى الياء.

ضحك ضحكة بسيطة ومن بعدها قال لها: يظنون أنني ألجأ إلى أمور السحر كي أكسب المال، في بلادنا هكذا الشخص يجب عليه أن يبقى في الصفر وإن صعد من الصفر إلى الواحد يقع تحت الشك والمراقبة.. على كل حال لا تقلقي يا أميرتي وهيا استعدي من أجل أن أشرب فنجان القهوة هذا أنا ووالدك في منزلكم قريباً.

****

دخل فؤاد إلى المكان الذي يخبئ به ما أخرجه من ذلك المنزل من ذهب ومجوهرات وقام بنقلهم إلى صندوق سيارته. كان ينتظره شخص يدعى مصطفى جابر، رجل مختص بتصريف كل شيء غير مصرح به مثل الآثار- الذهب-الألماس...إلخ.

سار فؤاد بسيارته وهو يلتف يميناً ويساراً كيلا يكون أحد يقوم بملاحقته حتى وصل إلى مكان مقابلته بمصطفى.

وهو يقترب منه وينظر له من مسافة قريبة، لاحظ أن شخصًا آخر غير مصطفى ينتظره، فكَّر بأن يكمل طريقه دون أن يتوقف ولكن الرجل أشار له بيده أن يتوقف...توقف فؤاد أمامه وأخبره بأن يخرج خارج سيارته ويذهب بسيارة الأشخاص الذين ينتظرونه، هناك في زقاق صغير تقف سيارة يوجد بداخلها ثلاثة أشخاص، رفض فؤاد وطلب منه بأن يتصل بمصطفى وبأن الاتفاق لم يكن كذلك.

أدار الرجل ظهره لفؤاد وهو يقول: إذاً لا يوجد عملٌ بيننا...صمت فؤاد لثوان وقال: حسناً حسناً تعال. وابتعد عن سيارته بينما أتى رجل من السيارة الأخرى وصعد هو سيارة فؤاد.

وافق فؤاد ولكن لم يكن يثق بهم فقد تلقى درساً من أثناء ما حصل بينه وبين نديم.

أشار الرجل بيده لفؤاد أن يصعد سيارتهم، هز برأسه فؤاد وصعد سيارته جلس بجانبه أحد الرجال وهو يضع عصبة على عين فؤاد أزاحها فؤاد بغضب بأنه لن يفعل ذلك.

اقترب الرجل من أذنه وقال له: هكذا أفضل، سوف نذهب إلى مصطفى جابر وعند خروجك من هناك سوف تعود بنفس الطريقة، هذا من باب الحرص والانتباه، من أجلي إن تم القبض عليك والضغط عليك فلا تعترف بشيء، وبجميع الأحوال اسم مصطفى جابر اسمٌ مستعار.

ضحك فؤاد ضحكة هستيرية وهو يقول: نعيش في أجواء المافيا الإيطالية! تحشرون أنفسكم في هذه المتاهات وأنتم تخافون من ظلكم؟ رد الرجل عليه: عندما نصل سوف تفهم كل شيء. صمت الرجل وفؤاد أيضاً.

توقفت السيارة ونزل منها الرجل وهو يجر فؤاد من يده بسبب أنه لا يرى شيئا أمامه، حتى دخل به إلى مكان هادئ عن الخارج. لاحظ فؤاد أنه أصبح داخل غرفة أو مكان مغلق، حتى سمع صوتًا يعرفه جيداً وهو يقول اكشفوا عن عينيه.

إنه مصطفى جابر بالفعل، لم تكن مافيا إيطالية كما قال، إنهم يتشبهون بها...في البداية كان مصطفى جابر هادئا ويعامل فؤاد بشكل طبيعي، قال له: أخبروني بأنك أحضرت كمية ليست قليلة، ولم تكن التي في عقلي، من أين أحضرتها. نظر فؤاد له وهو يقول: لا يهم كيف أحضرتها ومن أين

وكيف تمت معاملتي وطريقة إحضاري إلى هنا، وكأنني متزعم إرهابي تم القبض عليه، المهم هو كيف سيتم تصريفها.

- لا تقلق، تصريفها أنا أتكفل به، قال تلك العبارة وهو يرتشف من كأس نبيذ مزود بحبات الثلج.

مصطفى قصير القامة ضخم الجمجمة، الأمر الذي يذكرك بتكوين رأس الغوريلا. هناك شعر شائب ثائر على جانبي الرأس. يرتدي بدلة رسمية لونها بيج ويضع بكل أصبع من يده خاتمًا كبيرًا مع ساعة كبيرة أشبه بساعة الحائط، ولكن بحزام يد. لم يشعر فؤاد بأي أريحية من ما يدور حوله، ومن برود ذلك الشخص الذي يدعى مصطفى..

أشار بطرف عينه لأحد الرجال الذين يقفون خلف فؤاد، اقترب من فؤاد، لم يلحق الالتفات، شعر بشيء صلب قد رج جمجمته ووقع أرضاً، لم يفقد وعيه، ولكن شُلَّت حركته، كان على الأرض بنصف عين لا يرى بوضوحٍ مصطفى الجالس يبتسم له، ورجلان يجرانه من قدمه على الأرض خارج الغرفة حتى فقد وعيه بعدها.

****

- ألو

=سيدة شهد تفضلي

- فؤاد ليس موجود منذ يومين ولا أستطيع الوصول إليه ولا أحد يستطيع الوصول إليه... (تتكلم بصعوبة، الكلام ممزوج بالبكاء، أغلب الكلام غير مفهوم).

=سيدة شهد، بعد أن تم التحقيق معه واتضح أنه صادق كتبنا ضبطًا بإخلاء سبيله ورفع المراقبة عنه.

- والدته قد مرضت جداً ودخلت العناية المشددة وهي في حالة مزرية بين الموت والحياة ولا أحد يعلم عنه شيء..حتى أنه لم يذهب لمنزله ولم يره أحد من جيرانه.

=هل دخل أحد منزله؟

- لم يدخله أحد، سيارته غير موجودة وهذا يدل على أنه غير موجود بمنزله.

=تمام أنت انتظريني الآن أمام منزله، وأنا قادم على الفور ندخل معاً منزله

- حسناً بانتظارك سوف أكون هناك بعد قليل

لم تكن تستطيع أن تكف عن البكاء أخذت مفاتيحها وحقيبتها وخرجت دون أن تخبر أحد حتى والدها، لكنه لاحظ خروجها ونادى عليها ولكن أخبرته أن صديقتها مريضة وذاهبة إليها... تقود بسرعة جنونية والسيارات توسع لها الطريق بسبب تهورها بالقيادة رغم أنها لا ترى أمامها جيداً بسبب تراكم الدموع في عينيها.

وصلت أمام منزل فؤاد ووقفت تنتظر خالد أن يأتي، والفعل لم يكمل عدة دقائق حتى أتى ومعه رجلين معه، صافحها وهو يقول: أعلم أنه ليس بالمنزل ولكن ربما نصل إلى شيء يوصلنا له أو نعلم شيء بسبب اختفائه.

صعدوا السلم حتى الطباق الثالث وطلب خالد من أحد الرجال كسر الباب حتى يدخلوا، أول ركلة للباب والثانية والثالثة تم فتحه على مصراعيه ...

صالة متوسطة تأكلها الرطوبة ولم يصلها الهواء حيث لم تُفتح نوافذها منذ زمن. كتب مبعثرة فوق الطاولة في منتصف الصالة. غرفة النوم والسرير ملخبطين لم يتم ترتيبهم منذ زمن أيضاً، رغم علم شهد بأن فؤاد ليس من أولئك الأشخاص الفوضويين. لا يوجد أي دليل يظهر فقدان فؤاد ملابسه، حيث جميعها موجودة وموضوعة داخل أكياس كتب عليها شعار داري كلين قريب من المنزل يغسل ملابسه عنده، أخذت شهد بيدها أحد الكتب الموضوعة على الطاولة لأنه لفت انتباهها وجلست تقلب بصفحاته دون أن تفهم العبارات التي كتبت على شكل رموز ورسومات تدل على أن الكتاب يعود لأعمال السحر وطقوسه، وضعته، وأخذت كتاب آخر تقلب به شاردة بسبب خيبتها وتصديقها لما كانت تكذب نفسها به.

- سيدة شهد... سيدة شهد... سيدة شهد!.

=حضرة المحقق أنا أسمعك

- لا أعتقد بأنك تسمعيني...يظهر عليك التعب هيا يجب أن نذهب

=اذهب أنت، أنا سأهتم بتنظيف المنزل لفؤاد. قالت عبارتها وهي تحاول أن تخبِّئ الكتاب بيدها محاولة أن لا ينتبه له خالد

- اذهبي أنت وأنا سأكلف أحد الرجال بذلك

=لا اذهب أنت ولا تقلق، سوف أهتم أنا

هز رأسه بالموافقة وخرج وأغلق الباب خلفه. أعادت هي فتح الكتاب وهي تقلب بصفحاته بقلق وخوف بعد أن بقيت لوحدها في المنزل.

جميع الكتب التي كانت موجودة كانت تتحدث عن السحر ومتعلقة بالسحر ورموزه وطقوسه، نهضت وهي تبحث في المنزل مثل اللصوص وتقوم بفتح جميع الخزن وكل شيء تقع عينها عليه، وجدت شموعًا كبيرة وفخار منطفئا به رماد بخور، وبعض الأوراق التي كتبت عليها

عبارات لم تستطع فهمها حتى تأكدت بنفسها من كلام خالد المحقق. شهد التي وثقت به في الحقيقة أنها كانت تريد أن لا يكون الأمر حقيقياً

فؤاد في هذه الشقة الكئيبة لم يكن مجرد انعزال مع نفسه كما كان يقول وترك منزل عائلته.

فؤاد وقع في حفرة لن يخرج منها بسهولة. إنه يسحب نفسه للقاع أو أنه قد صدم رأسه به.

خرجت من ذلك المنزل الذي أصبح بنظرها أقرب للجحيم. وصعدت سيارتها وهي تتمنى أن تكون في حلم وتريد الاستيقاظ منه، ذهبت إلى منزلها دخلت المنزل متوجهة إلى غرفتها مثل الشبح لم يشعر أحد بقدومها،

أغلقت الباب خلفها وجلست تفكر. هل تبحث عنه أم تتركه بعد تلك الأيام والعلاقة التي دامت بينهم رغم خذلانها منه! فعلى الرغم من حبها الشديد له ولكن لم تكن تتوقع منه ذلك. لو تركته فهي تعلم أنها ستعود حرة طليقة، ولن تعود هناك مخاوف ولا هلاوس، وأنها مازالت في سن صغير لم تخسر أنوثتها بعد، بإمكانها بدء حياة جديدة لم ينفذ رصيد جمالها ونضارتها بعد، ولكن لن تشعر بالسعادة، لن تستطيع السير من غير أصفاد ثقيلة تكبل قدميها، أصفاد الشعور بالذنب، لأنها لا تعلم عنه شيئا بعد، ربما هو في خطر ولكن إن علمت سوف تراقبه من بعيد دون العودة إليه والخروج أمامه.

****

هل تعلم يا صديقي نحن نجلس مع بعضنا في هذه الغرفة التي هي أقرب للسجن داخل هذه المصحة ونتحدث. سمعت قصتك المقرفة عن النساء اللاتي ضاجعتهن، وحدثتك عن أيامي هنا داخل المصحة لأنك كما تعلم لا أذكر شيئا عن حياتي السابقة قبل قدومي إلى هنا، ولكن الآن بدأت ذاكرتي ترسم أمامي قصصًا ومشاهد أظن أنها من حياتي السابقة.

في السرير المقابل يجلس محمود الذي أحضروه ليجلس معه ويستدرجه في الكلام.

-وما هي تلك المشاهد؟. قال ذلك محمود وهو ينظر إلى السقف ويضع يديه خلف رأسه..

قد رأيت نفسي في لقاء مع فتاة حسناء وأعتقد أنه كان اللقاء الأول بيننا اكتشف ذلك من القلق الذي كان يسيطر علي والتوتر.

فتاة متوسطة القامة فائقة الجمال ذو شعر طويل إلى أسفل ظهرها يأخذ اللون الذهبي، التفاصيل ليست كاملة في ذهني ولكن هذا ما أذكره، من بعدها يأتي تشويش داخل جمجمتي وتعود الصورة في زفافٍ تقف نفس الفتاة بفستان أبيض بجانبها رجل وسيم يظهر على هيئته الثراء، يرتدي بدلة رسمية من التي يرتدونها العرسان في حفل زفافهم، يعود نفس التشويش وأرى بعدها نفسي أقف في جنازة ونفس الفتاة تقف ولكن بعيدة ولا أستطيع الذهاب إليها هناك شيء يمنعني من الذهاب، أراها تقف بعيدًا

ولكن نظرها لا يفارقني وعيناها تملؤها الدموع. ومن بعدها يختفي كل شيء.

عدَّل محمود جلسته وهو يرد على كلامه: وكيف أتيت إلى هنا أو من الذي أحضرك ألا تذكر شيئا من ذلك؟

=صدقني لا أذكر شيئا أبداً، استيقظت من نومي وجدت نفسي هنا، مَن أحضرني ومتى وكيف لا أذكر، لا أذكر العالم الذي كنت أعيش به، من هي والدتي ومن هو والدي، إن كنت متزوج ولي أطفال أم لا، وكأن أحدهم قام بحذف ذاكرتي ثم رمي هنا واتهمني بأنني مجنون وفقدت ذاكرتي بسبب العبث بأمور السحر.

- ولكن لمَ لا يكون هو هذا السبب الذي بالفعل أحضرك إلى هنا.

=لا أذكر شيئا ولكن أنا متأكد بأنها ستعود ذاكرتي مع الأيام وتكشف جميع الحقائق القليل من الصبر فقط.

نهض فؤاد ووقف وقفته المعتادة أمام النافذة وهو ينظر للخارج ويهمس بينه وبين نفسه أيام قليلة إن لم تعد ذاكرتي وتكشف الحقائق لا أعلم ماذا سأفعل. خيل لي لأكثر من مرة الانتحار، لكني أعيد نفسي في آخر لحظة من القرار.

****

سيارة نقل بضائع، يوجد بداخلها شخصان؛ رجل منهم يقودها ويضع بفمه سيجارة وهو ينظر إلى الطريق أمامه بعين شبه نائمة، والآخر بجانبه يسند رأسه للخلف يغرق في نوم عميق... الظلام الدامس يعم في المكان الذي يقود فيه، فتح عينيه باتساعٍ ودهشة بسبب ما رآه على جانب الطريق، نكز الشخص النائم بيده حتى يستيقظ وهو يشير له ويقول بصوت متقطع من الزعر: هناك جث.. جث.. جثة!! أم.. أم أمامنا.. استيقظ الآخر وهو ينظر، جثة ملقية على جانب الطريق والدماء تملأ ما حولها، أوقفوا سيارتهم وخرجوا منها متجهين لها، وضع أحدهم يده عليها وكشف عن وجهها، جثة لشاب في بداية الثلاثين حاول أن يتأكد إن كان على قيد الحياة أم لا بتوتر، لا يعلم هل يخبر أحدًا أم لا بعدما اكتشف أن الشخص ما زال على قيد الحياة، لكنه أخرج هاتفه وحاول الاتصال بأقرب مركز شرطة...

وجودهم في مسرح الحادثة لم يستغرق طويلاً، وتم نقله إلى أقرب مستشفى، في طريقهم حاول أحد رجال الشرطة البحث في جيوبه عن وجود أي أوراق تثبت من هو ولكن لم يجد شيئا يدلهم من هو أو من عائلته.

المنطقة التي تم وجوده بها كانت نائية، لا وجود لأي بناء حولها أو كاميرا مراقبة تكشف لهم من قام برميه هناك، والشخص فاقدٌ وعيه يفارق الحياة..

تم استلامه في المستشفى ونقله فوراً إلى غرفة العمليات مباشرةً. اتضح وجود عدة كسور في جسده، وجروح عميقة سببها أداة حادة، واحدة منهم أدت إلى قطع أحد شرايينه وخسارة كمية هائلة من الدماء.

أخبر الطبيب رجال الشرطة بأن وضعه حرجٌ جداً وسيفعل ما فوق طاقته لإنقاذه، استغرقت العملية خمس ساعات حتى خرج الطبيب بعدها وأخبرهم أنه أصبح أفضل وخرج الخطر عنه على أمل أن يكمل حياته، ولكن هناك مشكلة، تم نقله إلى العناية المشددة وسيبقى فاقد وعيه وداخلًا في غيبوبة لعدة أيام.

في تلك الفترة كانت عائلة فؤاد قد أبلغت عن فقدانه بجميع المستشفيات والدوائر الحكومية. واستطاعت السلطات الأمنية إيصال عائلته له.

- ما اسم الشخص الذي تبحثون عنه

=اسمه فؤاد السيد أحمد يا حضرة الضابط. فقدنا الوصول له منذ شهر وأخبرونا أنه في هذه المستشفى منذ عشرة أيام.

- أين كان يذهب عندما تم فقدانه!

=لا أحد يعلم يقطن في منزل بفرده أغلب الأوقات لا أحد يعلم أين يخرج ومتى...

كان المتحدث ابن عم فؤاد الذي يقيم في محافظة أخرى، ولكن قد أتى ليبحث عنه بعدما علم من والدة فؤاد قبل أن تسوء حالتها.

أخبره الضابط بأنه سوف يحاول أن يصل لمن فعلو ذلك بفؤاد، ولكن بعد أن يستيقظ فؤاد ويعيد طاقته ويخبرهم بكل شيء، ويكون الوصول لهم أسهل..

في تلك الأوقات كانت شهد لم تتلقَ أي خبر عن فؤاد، وكانت تظن أنه ربما سافر بعد أن أصبح لديه ثروة تجعله يفعل ما يشاء، وبأن مكانتها في قلبه لم تعد مثل الماضي وربما نسيها، وأيضاً كانت تحاول جاهدة أن تعود لحياتها السابقة قبل أن تتعرف عليه حتى تكمل حياتها كما كانت، ولكن وعدت نفسها أيضاً بأنها سوف تظل تطمئن عليه من بعيد. حتى قررت أن تذهب إلى والدة فؤاد ربما تعلم منها شيئا حتى تقطع ذلك الشك.

- سيد فؤاد: هل تذكر شيئا مثل من فعل لك ذلك، وأين كنت ذاهب؟

=لا أذكر شيء، كانوا مجهولين، أوقفوني وأنا أقود سيارتي، أعتقد أنهم لصوص الليل لا أكثر

- ولكن لم يسرقوا منك شيئا، قد وجدنا سيارتك وبداخلها كل شيء يخصك من أوراق وأموال بعد عدة أيام من وجودك.

=لا أعلم إذاً من هم ولماذا فعلوا ذلك

كان فؤاد يذكر كل شيء ويعلم من فعل به ذلك. ولكن لا يريد أن يخبر أحدًا حتى يستعيد قوته وينتقم منهم. ويعيد ما أخذوه منه

الضابط والطبيب ومن معه كانوا يعلمون أنه يخبئ شيئا، فطالما لا وجود لسرقة إذاً ليسوا لصوص، وأنه يعلم من هم ولكن لا يريد أخبار أحد.

في بعض الأحيان علينا التفكير بالعواقب التي ستحصل، وما الضرر مما سنفعله، وهل إذا دخلنا في الطرق التي حرمها الله علينا سوف ننجوا منها أم ستكون النهاية وخيمة. أو دعنا نقول عزيزي القارئ: أننا نعلم بأن النهاية ستكون وخيمة ولكن الإنسان دائماً يقنع نفسه بأي طريقة أنه لا يعلم. نتنعَّم في بداية كل شيء نفعله تحت مسمى (كل مرغوب ممنوع) أو تحت مسمى (حب الاستطلاع) ...

أجل عزيزي القارئ إنه مرغوب. ولكن يوجد سبب لمنعه أو تحريمه، لأنه مضر لنا وإلا لم يكن يحرمه الله علينا أو يمنعه عنا. على سبيل المثال لو كان الزنا حلال، وهو مرغوب، أليس كذلك؟ وقتها ما كان أحد ليتزوج بغير ذلك، وكانت الأمراض انتشرت في جميع بقاع الأرض. وكنا مثل الحيوانات لا نعلم أنا ابن مَن وأنت ابن مَن وفلان ابن من، وغير ذلك، لو علمت من هم عائلتك لكنت لم تستطع أن تمنع أولادك أو زوجتك منه، وتبعدهم عنه.

أو لو كانت المخدرات حلال على الرغم من أنها مرغوبة أيضاً...كنت وجدت جميع البشر تسير في الشوارع دون وعيها، وكثرت المشاجرات وكثر المرضى النفسيين إلخ...

والسحر أيضاً كذلك نتصل بعالم آخر لتلبية رغباتنا أو للانتقام من أشخاص حصلت بيننا وبينهم عداوة. ولكن ماذا إن لم ندفع حق ذلك أو أخطأنا بأحد الطقوس؟ سوف ينقلب السحر علينا، وبينما نقوم

باستخدامه لنسرق به الناس ونؤذي به الناس، نقع نحن بالحفرة بدلاً منهم وإن لم نقع بالحفرة سيكون عقابنا وخيمًا لأننا استخدمناه لنؤذي به الغير، ونحتمي خلفه بدلاً أن نستخدم الدعاء ونحتمي خلف الله.

استيقظ من نومه ونظر إلى الطاولة الصغيرة الموضوعة بجانبه ليأخذ من عليها كوب الماء، لاحظ عليها باقة ورود ملونة غرز في منتصفها ظرف صغير مغلق...حاول أن يعدل جلسته بصعوبة لأن جسده ما زال لا يساعده على الحركة جيداً.

التقط الظرف وقام بفتحه وجد بداخله ورقة كتب عليها (عزيزي فؤاد من الجيد أنك ما زلت على قيد الحياة على الرغم من أنه كان بإمكاني قتلك، ولكن والدتك المريضة ما زالت بحاجة إليك. ولكن أنصحك بأن لا تخبر أحدًا عن ما حدث أو لنقل أنك تحدثت ماذا ستقول؟ سرق مني ما قمت أنا بسرقته) أعاد فؤاد الورقة إلى الظرف وهو ينظر إلى السقف ينتظر بفارغ الصبر لحظة خروجه خارج المستشفى حتى يأخذ انتقامه من ذلك الذي يدعى مصطفى على العلم أنه لا يعلم أين مكانه ولا أي معلومات عنه.

طرق على الباب ثلاث طرقات بهدوء ثم قام بفتح الباب ودخل منه الطبيب ومساعده، اقترب من فؤاد وهو يقول له: كيف حالك اليوم سيد فؤاد

=الحمد لله أظن أنني اليوم أفضل بكثير

ابتسم الطبيب وهو يقول: بالفعل أرى ذلك، صحتك تعود لك وتختلف يومًا بعد يوم، ولكن سوف تبقى هنا تحت المراقبة ليومين آخرين أيضاً ما زلت بحاجة إلى عناية ومراقبة

=ولكن حضرة الطبيب أرى أنني جيد ووالدتي مريضة يجب علي أن أذهب إليها، إنهم أخبروني أن صحتها تزداد سوءاً

- أعلم ذلك، ولكن من فضلك يجب أن تبقى هنا يومين أيضاً عندما أتأكد من أن صحتك أصبحت جيدة نسمح لك بالخروج، سوف أخرجك وعلى مسؤليتي، والآن أنا ذاهب عندما تحتاج لشيء أخبرني. خرج الطبيب وأغلق الباب خلفه.

دخل من بعده رياض. نظر له فؤاد وهو يقول: أين ذهبت....كان رياض يمسك بيده قطعة شوكلا أخذ منها قضمة ورد عليه بكل برود وهو يمضغها...عندما وجدتك نائمًا ذهبت إلى الحديقة لأشرب سيجارة مع فنجان قهوة وأعود بينما تستيقظ أنت

رد عليه فؤاد بعصبية من رده ببرودة: ومن أحضر هذه الورود؟

- أي ورود..؟ قال تلك العبارة وهو ينظر إلى الطاولة التي وُضِعوا عليها ثم هز رأسه يميناً ويسارًا وهو يقول: لا أعلم، ربما أحد أحضرها وأنا في الأسفل، ووجدوك نائمًا فتركوها وذهبوا من أجل أن لا يزعجوك ويجعلونك تستيقظ...حتى إنهم لم يضعوا فيها أي رسالة أو ورقة نعلم من خلالها من هم. ثم غمز بعينه وهو يبستم ويقول: أم تكون هناك عاشقة خفية ونحن

لا نعلم، أيها الشقي هيا أخبرني مَن يا ترى مَن تكون من ضمن الفتيات التي تعرفها أحضرت هذه الورود..؟

قال ذلك كنوع من المزاح كي يجعل فؤاد يضحك ويخرج من الحالة التي هو بها: ولكن فؤاد لم يعطِ أي أهمية لكلامه ثم قال له: أجل لم يتركوا أي رسالة ولا أعلم من أحضرها.

كان فؤاد قد أخفى الظرف كي لا يراه أحد ويقرأ ما بداخله ثم طلب من رياض أن يملأ له كوب حليب لكي يخرج من الحديث.

أحضر رياض الكوب وهو يقدمه لفؤاد ويمثل طريقة الخدم بالتقديم، ويقول له: أي أوامر أخرى يا حضرة الأمير..أخذ فؤاد الكوب منه وقال له: أريد هاتفك أيضاً لأن هاتفي مازال في السيارة، حتى سيارتي لا أعلم أين هي بعد أن وجدوها.

أخرج رياض هاتفه من جيبه وأعطاه لفؤاد وهو يقول: إذاً سوف أذهب إلى الخارج حتى تنتهي من مكالمتك...

طلب فؤاد رقم هاتف كان يحفظه، ولكن لم يجب عليه أحد، حاول الاتصال مرة أخرى حتى رد عليه الشخص الآخر:

- الو.... كانت الساعة قاربت على الثانية في منتصف الليل ردت وهي شبه نائمة

=ألو...

- هل عرفت من أنا

اعتدلت على الفور وهي تقول فؤاد!... أين أنت اختفيت وانقطعت أخبارك ولا أحد يعلم عنك شيء..

- لا تقلقي يا عزيزتي أنا بخير، ولكن كانت لدي مشكلة هي ما جعلتني أغيب عنك تلك المدة يا صاحبة العيون الملائكية

"بصوت مرتجف وبخوف"

=وما هي تلك المشكلة التي جعلتك تختفي كل تلك المدة دون أن تخبر أحد.

- سوف أخبرك بكل شيء ولكن ليس الآن عندما يحين الوقت

=أخبرني الآن يا فؤاد وأخبرني أين أنت الآن

كان فؤاد يعلم بأن شهد لن تغلق الهاتف حتى تعلم كل شيء مثل عادتها

- سوف أخبرك يا أميرتي...مجموعة من اللصوص قاموا باختطافي وأنا عائد من العمل إلى المنزل. وقاموا بتعذيبي وضربي، من بعدها ألقوني بمكان مهجور وذهبوا ولا أعلم من هم، أو لماذا فعلوا ذلك...وجدني شخص وأحضرني إلى المستشفى واليوم فقط استطعت التحدث اتصلت بك على الفور. والآن أنا بخير لا تقلقي يا أميرتي أصبحت بصحة جيدة.

=هل أنت متأكد

- أجل يا عزيزتي

أغلقت الهاتف على الفور دون أن تخبره أنها ستغلق أو تسأله بأي مستشفى هو أو إن كانت ستذهب له أم لا، وانفجرت بالبكاء واقعة في حيرة من أمرها، ولا تعلم ماذا ستفعل.

سيد فؤاد، لقد أصبحت الآن في صحة جيدة ويمكنك الخروج في صباح الغد إن أردت وإن شعرت بأي ألم بإمكانك القدوم إلي. قال تلك العبارة الطبيب وفؤاد هز رأسه بالموافقة مع ابتسامة دون أن ينطق بكلمة، وهو يفكر: هل يذهب إلى والدته عند خروجه أم يأخذ انتقامه قبل أم يذهب لشهد. وقع في حيرة، ولكن ما يشغل عقله أكثر هو الانتقام أولاً.

كان يقف بجانبه رياض وقال له: سوف أخبرهم الآن بالهاتف أن يجهزوا لك غرفتك وسريرك في المنزل وأنك سوف تذهب لهم غداً...نظر له فؤاد وقال له: لا تخبر أحد ولا أريد أن يعلم أحد أنني خرجت من المستشفى لدي عمل لمدة يوم ومن بعدها نذهب لهم عندما نخرج من المستشفى... غداً سوف نذهب إلى أحد الفنادق وأحجز لك غرفة لمدة يومين وتنتظرني هناك حتى أعود لك.

سكت لحظةً ثم أكمل بعدها: أيضاً نسيت شيء، عندما يتصل عليك أحد من العائلة أخبرهم أننا ما زلنا في المستشفى وأنني نائم، في جميع الأحوال لن يأتي أحد بسبب بعد المسافة ووالدتي لن تساعدها صحتها بالقدوم إلى هنا.

في صباح اليوم الثاني، بالفعل اتجه فؤاد ورياض إلى فندق كان مجاورًا للمستشفى بعد أن ذهب وأحضر سيارته من موقف السيارات التي ركنوها به حتى يستعيد صحته ويخرج.

حاول رياض إقناعه أن يذهب معه ولكنه منعه، وطلب منه أن ينتظره حتى يعود، لم يكن باستطاعة رياض فعل شيء سوا أن ينفذ ما يقوله فؤاد بسبب حالته، رغم غضبه من معاملة فؤاد له.

يجلس بسيارته والهاتف بيده يفكر هل يتصل أم ينتظر قليلاً، والغضب يسيطر على كامل جسده، وهو يحاول أن يتمالك نفسه بعينيه الحمراوين اللتين وكأن النار ستندلع بداخلهم من شدة الغضب. بعد تفكير ضغط على زر الاتصال

- ألو

=لك مني جميع التهاني لأنك ما زلت على قيد الحياة على الرغم من أن توقعي كان هو واحد بالمئة على ذلك...

رد فؤاد ببرود..

- بالفعل عندك الحق، ولكن ماذا أفعل، مازلت على قيد الحياة حتى أقتلع رأسك بيدي ومن بعدها

قاطعه مصطفى

=هههههه ومن بعدها ماذا يا صغيري

- من بعدها سوف أحرق سلالتك السابعة وأتلذذ بتعذيبهم

ببرود رد عليه مصطفى

إن استطعت تعال واقتلع رأسي، ماذا تنتظر أم ليس لديك الجرأة على ذلك.

أغلق فؤاد الهاتف في وجهه وهو يشتم به. لأنه لا يعلم كيف سيصل له ولا أين مكانه. قام بتدوير محرك سيارته بعد أن فكر بأن يذهب إلى مكان اللقاء الذي تم بينهم ومن بعدها يحاول تحليل الطريق التي سارت به السيارة التي وضعوه بها وأغلقوا عينيه. وبالفعل ذهب إلى هناك وجلس ما يقارب الثلاث ساعات وهو يقف في نفس المكان ويحاول استجماع ذاكرته والاتجاهات التي ساروا بها. ولكن لم يستطع أن يجمع سوا أقل من ربع المسافة لأن المسافة كانت بعيدة وبسبب كثرة الاتجاهات التي أدخلوه بها لم يستطع تحليل باقي المسافة، وكأنهم كانو يقومون بالتشويش على عقله، إذ من الممكن أن تكون المسافة قريبة ولكن فعلوا ذلك من باب التمويه، وساروا لمسافات بعيدة وعادوا إلى مكان قريب، ظننا بأنهم أخذوه إلى مكان أبعد بكثير من مكان لقائهم.

....

بعد أيام مضت بين آدم وفؤاد... بدأت تصرفات وكلام فؤاد تنعكس إلى الأفضل بفضل آدم الذي دائماً معه ويحادثه...حتى أن آدم حاول إقناعه بعد عناء طويل أن يخرجوا سوياً خارج ذلك السجن الذي يحبس فؤاد نفسه به. وأن يتجولوا في حديقة المصحة بسبب اعتدال الطقس والهواء النقي في ذلك اليوم.

كانت تجلس فتاة في العشرينات من عمرها على أحد المقاعد لوحدها، وكأنها غارقة بحزن يأكل جسدها. وما يدل على ذلك هو وجهها الشاحب الذي

تملؤه التجاعيد والسواد الذي يخيم في أسفل عينيها وتشقق شفتيها وتقشر بشرتها على الرغم من جمالها الذي يختبئ خلف ذلك الخراب... اكتشف ذلك فؤاد بعد وقوفه بعيداً عنها قليلا وتأملها جيداً...حتى أن عقله كان يراوده بأن يجلس بجوارها ويتبادل الأحاديث بينه وبينها. كان الطبيب يقف خلف نافذة مكتبه ويراقب تحركات فؤاد وتصرفاته وخروجه لأول مرة والاختلاط بمن حوله.

جلس فؤاد بجانب تلك الفتاة ووضع قدمًا على قدم، بينما آدم أكمل سيره بين الأزهار وهو يراقبه هو الآخر.

- فؤاد...اسمي فؤاد، قال ذلك وهو ينظر إلى الأمام، أما الفتاة لم تلتفت له، كانت تضع يديها في جيب الجاكيت الذي ترتديه وتنظر إلى المارة

=وأنا سلوى

- جميل هذا يعني أنه أصبح لدي صديقة في هذه المصحة

هزت رأسها دون أن تنطق بكلمة أو تلتفت له. ثم أكمل فؤاد كلامه: أنا لا أذكر شيئا وما هو سبب تواجدي هنا ولكن يمكنك القول أنني من جديد أصبحت أذكر بعض التفاصيل الصغيرة، أما أنت يبدو عليك أنك تذكرين كل شيء هذا ما أراه عندما أنظر إليك...ولأول مرة أخرج إلى الحديقة ومن أجل أن أكون صريحًا أيضاً تعمدت الخروج كي أستمع إليك لأنني أراقبك كل يوم من النافذة وهذا ما دفعني إلى ذلك...

- بضحكة ساخرة ....تستمع إلى قصتي؟ أعتقد أنك سوف تشعر بالندم على سماعها. ولكن أتفق معك بشيء واحد، يبدو عليك بأنك لست مريضًا ولست بمجنون كما يدعون على من يحجز بهذه الأماكن على أنه مجنون، ولكن لأقل لك، وأنا أيضاً لست كذلك...ولكن بسبب ما فعتله أثبتوا علي ذلك.

- وما ذلك الشيء الذي فعلتيه

=هذا يعني أنك على اعتماد لسماع قصتي وماذا فعلت وما السبب لفعلي ذلك

-رد فؤاد وهو ينظر إلى عينيها...أتمنى ذلك

=سوف أبدأ من البداية ولكن لا تضجر من تلك القصة

هز رأسه للخلف وهو يبتسم. وهي أكملت

خمس سنوات كنت أبلغ من العمر عندما ماتت والدتي بسبب والدي، لم ينجُ أحدٌ غيري، كنت وحيدة، والدتي قتلها والدي عندما عاد متأخر في أحد الليالي وهو في حالة خمور...والدي كان رجل فظ اللحية تغطي وجهه ودائماً مشبعة برائحة الخمور...يلعب القمار طوال الليل وينام طوال النهار لم يكن يعمل، والدتي هي التي كانت تعمل من أجل تلبية طلبات المنزل بينما والدي كان يضربها ويقوم بإجباريها على أن تعطيه راتبها. ذات ليلة كنت مريضة جداً ووالدتي كانت ترتدي ثوبها لتأخذني إلى الطبيب. عاد والدي من الخارج وكان قد خسر بالقمار مثل عادته. ما زلت أذكر تلك اللحظات

رغم عمري الصغير وأنا أبكي في صمت وأضع يدي على فمي في غرفتي...كنت أسمع صوت والدي بالخارج بسبب صراخها وهي تقول لن أعطيك شيئا سوف أذهب بسلوى إلى الطبيب...من بعدها سمعت صوت ارتطام قوي، وعمَّ الصمت في أرجاء المنزل، كنت أسمع صوت خطوات والدي فقط وهو يخرج خارج المنزل ويغلق الباب خلفه...حاولت إخراج رأسي من زاوية الباب لأنظر ماذا حدث ولماذا عم الصمت...هل تعلم حينها ماذا رأيت! رأيت بركة دماء كبيرة في منتصف الصالة ووالدي نائمة في منتصفها، سمعت باب المنزل قد انفتح من جديد عدت إلى سريري ووضعت رأسي بين قدمي وأغمضت عيني، أذكر بأن المدة كانت حوالي الساعة حتى سمعت الباب أغلق من جديد، وذهب والدي، انتظرت عدة دقائق وخرجت مرة أخرى...ولكن لم أجد الدماء ولم أجد والدتي، ولم أجد والدي، بكيت كثيراً في تلك الليلة وأنا لا أعلم أين ذهبت والدتي. بعد فترة من الزمن عندما كبرت قليلاً فهمت أنه قام بقتلها وألقاها في منطقة بعيدة، هذا ما أخبرني هو به، وكان يهددني أن لا أخبر أحدًا وأقول بأن والدتي تركت المنزل وغادرت دون أن تخبر أحد.

هل تريد أن أكمل أم أنك سئمت من قصتي- أجابها فؤاد أكملي وأين أكملت باقي حياتك أنت...

سوف أكمل لك، بعد فقدان والدتي، أصبح والدي يأتي بأصدقائه إلى المنزل ويلعبون القمار في المنزل. أما أنا كنت في العاشرة من عمري وأنا أخدمهم

في كل ليلة وأقدم لهم ذلك السم كي يشربوه، وكلما أقترب من أحدهم يقوم بلمس جسدي وبين قدميَّ بيده المقرفة، ووالدي لا يبالي، وأنا لم أكن أعلم شيئا، كنت ما زلت صغيرة وأعتقد أنهم يفعلون ذلك كنوع من الشكر لخدمتهم وتقديم الخمور لهم. بقيت على ذلك الحال ثلاث سنوات أيضاً حتى أصبحت في الثالثة عشر من عمري، أذكر أنني كنت في المطبخ أقوم بتحضير أطباق من الفاكهة كي يتناولوها مع الخمور. كانوا في تلك الليلة لا يشعرون بما يحدث حولهم. شعرت بيد أحدهم تلمس بنطالي من الخلف، التفتت على الفور. كان أحد أصدقاء والدي خلفي رجل في الأربعين من عمره خالط الشيب رأسه ورائحة فمه مقززة. اقترب مني أكثر وقام بلف يدي خلف ظهري وقرب فمه إلى وجهي وبدأ بتقبيلي بطريقة مقرفة، حاولت الصراخ كثيراً ولكن صوتي لم يكن يصل إلى الخارج بسبب يده التي كانت تحجب الصراخات وهو يضعها على فمي. بعدها شعرت بيده الآخرى وهي تجردني من ملابسي حاولت مقاومته ضربني على رأسي من بعدها غرقت بنوم عميق. لم أكن نائمة كنت فاقدة الوعي، ولكن كنت أشعر بشيء يدخل بين قدمي ويفصلني إلى نصفين. استيقظت من نومي مجردة من ملابسي ومن عذريتي ذلك الثور جعلني أفقد عذريتي وأنا في الثالثة عشرة من عمري. هل تعلم ما معنى طفلة في ذلك العمر تفقد عذريتها وكيف تم اغتصابها. آه.. يا لها من كلمة ثقيلة اغتصاب... حينها خرجت إلى والدي وجدته نائمًا على الأريكة في الصالة، كنت أفكر هل

أوقظه وأخبره بما حصل أم لا. للصراحة كنت خائفة أن يقتلني كما قتل والدتي. في النهاية قررت أن لا أخبره وكان قراري الآخر هو الهروب من المنزل. وقطعت وعدًا على نفسي أن أنتقم منه لأنه قتل والدتي وأنتقم من ذلك الثور الذي جردني من عذريتي، لقد فعلتها وهربت من المنزل، ولكن بعدها اسودت حياتي وأصبحت أسوأ هل تعلم ماذا يعني طفلة في ذلك العمر مشردة عن منزلها وتنام في الطرقات وتأكل من النفايات وفي بعض الأحيان أدخل للمحلات أسرق الحلوى وأركض، كانوا يلحقون بي ولكن كنت أستطيع الهرب في كل مرة.

أعلم ما يفكر به عقلك وسوف أجاوب عليه، والدي عندما تزوج والدتي كانوا في ميتم لم يكن لهم عائلة لذلك لم أذهب لأحد من أقاربي لأنه لم يكن لدي أقارب من الأساس.

لقد سرت لمسافات بعيدة جداً كي لا يعثر عليي والدي. نمت في الشارع لعدة أيام ولكن كان يوجد رجل يقوم بمراقبتي كل يوم، وذات يوم أتاني وبيده قطعة حلوى وشوكولا قدمهم لي شعرت براحة حينها. حتى أنه طلب مني أن أذهب معه إلى المنزل ليهتم بي هو وزوجته من شدة حماقتي استطاع خداعي بتلك الحلوى.

نهضت من الأرض وأمسكت بيده لأذهب معه. أدخلني منزله، كانت توجد سيدة في المنزل وقفت أمامها وأنا أنظر إلى الأرض. كانت مغطاة بالمكياج وترتدي فستانًا وشبه عارية. صدقت بالفعل أنها زوجته وأنه منزله ولكن

اتضح أنه باعني لها. في صباح اليوم الثاني وضعت لي الكثير من المكياج وألبستني فستانًا جديدًا وأخذتني معها إلى منزل آخر كان منزل للدعارة. وتحولت حياتي من فتاة رقيقة لا تفقه شيئا بالحياة إلى عاهرة تحت الإجبار والتعذيب. وبقيت محتجزة في ذلك المنزل لا أستطيع الخروج حتى أصبحت في العشرين من عمري حينها استطعت الهروب من قبل أحد الزبائن الذي كان يأتي من أجلي كل أسبوع واستطعت أن أروي له قصتي وشعر بالعطف تجاهي وقام بتهريبي من ذلك المنزل.

حينها كان قد حان موعد الانتقام، ذهبت أولاً إلى منزل صديق والدي كان قد هرِم وأصبح رجلًا عجوزًا، قتلته، كنت أتلذذ في قتله بعد تخديره، وفعلت به أشياء حتى لا أستطيع التجرأ على قولها، أعتقد أنك فهمت ما هي.. من بعدها ذهبت إلى منزل والدي الذي ولدت به لم أكن أتوقع أن أراه بتلك الحالة، كانت قد شلت حركته تماماً ويجلس على كرسي متحرك لا أعلم ما هو السبب الذي أوصله إلى ذلك الحال، لا يهم، أمسكت بيدي ماسورة حديدية قاسية وضربته بها عدة ضربات على رأسه كما قتل والدتي، لم أكتفِ بضربة واحدة. ولكن لم أستطع الهروب، دخل أشخاص خلفي فوراً للمنزل وأمسكوا بي. دخلت في مرض نفسي وفي التحقيقات قالو أنني مريضة وتم إخراجي من السجن وإحضاري إلى هنا. وهنا انتهت قصتي. لقد عشت حياة العاهرات والقاتلات وبعدها أصبحت مختلة عقلياً في هذا البناء الذي سجنوني به.

هذه قصتي وأعتقد أنك لم تسمع ولن تسمع مثلها طوال حياتك.. وأنت؟ ألا تذكر شيء بسبب تواجدك هنا

- لا أذكر شيئا للأسف ذاكرتي تذهب وتعود كما أخبرتك في البداية ولكن قررت كتابة كل شيء أذكره كي لا أنساه مجدداً. والآن أعتذر منك يجب أن أعود إلى غرفتي. هزت برأسها بابتسامة وهو اتجه إلى غرفته.

بعد دخوله دخلت ممرضة خلفه تحمل بيدها أطباقًا بداخلها طعام، وضعت الأطباق على الطاولة التي أمام سريره وسرير حسن وهمت بالانصراف، لكن قبل أن تغلق الباب خلفها قال لها: المعذرة حضرة الممرضة هل بإمكاني أن أطلب شيئاً

=أجل تفضل ما هو طلبك

- كنت بحاجة إلى قلم وبعض الأوراق، وإن كانت كراسة يكون أفضل لأنني سأكتب كثيراً

=حسناً في أقرب وقت سيكون طلبك بحوزتك

بعد ما يقارب الساعتين دخل الطبيب وبيده ما طلبه فؤاد

- كيف حالك يا فؤاد

=بخير..

- أرى ذلك حتى أن مزاجك أصبح مختلف وكأنك تأقلمت على المكان

هز رأسه فؤاد بابتسامة رسمت على وجهه

- أخبرتني هالة أنك طلبت أنت هذه الأشياء وأحضرتها لك بنفسي.. هل أنت بحاجة لشيء آخر

=شكراً يا حضرة الطبيب لا أريد شيء آخر سلمت يداك

- أنا ذاهب الآن عندما تحتاج أي شيء بإمكانك إخباري على الفور وسوف يأتيك فوراً

- بالتأكيد شكراً على كل شيء

....

عاد فؤاد إلى الفندق وأخرج هاتفه، حاول الاتصال بشهد عدة مرات ولكن لم تكن تجيب على مكالماته.. دخل إلى الرسائل وكتب لها: (عزيزي شهد لو تعلمين حجم الشوق الذي بداخلي وكم أنا بحاجة إلى عناق طويل والاختباء بين ضلوعك.. اتصلت بك لكي أخبرك أنني بحال أفضل من قبل وسوف أخرج من المستشفى غداً.. عندما أخرج سوف آتي للقائك على الفور ولكن انتظري عقابي لأنك لم تأتي أنت إلي. أعلم أنني مخطئ لأنني جعلتك حزينة وقطعت أخباري عنك ولكن أصبحت الآن تعلمين ما سبب ذلك وأتمنى أن تعذريني...حبيبك المخلص فؤاد). ضغط بعدها على زر الأرسال وجلس على الأريكة ينتظر الرد.

الهاتف موضوع فوق السرير، بينما شهد كانت ترتدي فستانًا وتضع القليل من المكياج، هاتفها أخرج نغمة استلام الرسائل. فتحت هاتفها وقرأت ما تحتويه الرسالة من كلمات والدموع تتساقط من عينيها التي تتساقط من

قبل أن تقرأ الرسالة بسبب القرار الذي اتخذته على نفسها. عدة طرقات على الباب ومن بعدها قامت بفتحه الخادمة ودخلت تنظر إلى شهد وهي تقول: سيدة شهد؛ أرسلني والدك لكي أخبرك بأن الضيوف ينتظرونك في الصالة حسناً دقائق قليلة بعد وأذهب لهم...خرجت الخادمة وأغلقت الباب خلفها وعادت الدموع التي كانت تداريها مرة أخرى، فتحت هاتفها ودخلت إلى الرسائل وبدأت أصابعها تكتب بارتجاف: (فؤاد، أولاً الحمد لله أنك أصبحت بخير وتحسنت حالتك. لدي صديقة ممرضة في المستشفى أخبرتني أنك أصبحت بحال أفضل. في الحقيقة لا أعلم كيف ستتلقى هذا الخبر وكيف تجرأت على كتابتها بعد تلك السنين التي قضيناها معاً، ولكن لأدخل بالموضوع بشكل مباشر. لقد اكتشفت كل شيء، وبأنك قمت بتوريط نفسك بالسحر، وبأن الذي حصل لك لم يكن صدفة، حاولت تكذيب نفسي كثيراً ولكن لم أستطع، والآن دعني أقول لك بأن علاقتنا قد انتهت. وأتمنى أن تكمل حياتك بعيداً عني، وأن تبقى فؤاد الذي أعرفه وأن تنتبه لنفسك جيداً ولا تهمل نفسك. أتمنى لك حياة جديدة سعيدة). أغلقت هاتفها على الفور ورمته على السرير وأخرجت منديلًا تجفف به دموعها، وأخذت نفساً عميقاً واستعدت للخروج لاستقبال الضيوف.

أما عن فؤاد، فبعد قراءته تلك الرسالة لأكثر من خمس مرات، حتى يستطيع أن يستوعب ما تقرؤه عيناه، شعر بوخزة في قلبه وكأن الدنيا تضيق

به والغرفة تنطبق عليه من ضيق نفسه. نهض يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يحاول الاتصال كثيراً بها، ولكنَّ هاتفها كان مغلقًا.

دخلت شهد الصالة ونظرت أمامها إلى الشاب الذي يجلس مع والدها. كانت هيئته تختلف كلياً عن فؤاد بعينيه الزرقاوين وشعره الأشقر، ووسامته، والثراء الذي يظهر عليه. ولكن كانت شهد تتخيل بأن فؤاد الذي يجلس أمامها وليس ذلك الشاب.

شهد خطت تلك الخطوة وأخذت ذلك القرار لكي تعلم بأنه لم يعد هناك باب للرجوع إلى حياتها السابقة مع فؤاد. وأنها عقدت نفسها بذلك الشاب الذي تقدم لها لتدخل بعالم جديد وحياة جديدة بعيدة كل البعد عن فؤاد.

تقدمت باتجاه الشاب وبيدها صينية عليها فنجان قهوة وكوب ماء لتقدمهم له. كان ينظر لها ولا يصدق ما تراه عينه من ذلك الجمال الذي لم يكن يتخيل حتى أن تكون به.

قدمت القهوة له وخرجت إلى غرفتها مسرعة. في المساء ناداها والدها وطلب منها أن تجلس أمامه. وسألها للمرة الأخيرة إن كانت موافقة على ذلك الزواج. صمتت لعدة دقائق وهي تنظر للأرض في حيرة بين نعم أو لا، تفكر بوضع فؤاد، وماذا سيحدث. وكيف تلقى الرسالة منها. وهل ترفض الزواج بذلك الشاب وتعود إلى فؤاد وتغيره وتعيده إلى ما كان عليه في الماضي بعيداً عن السحر...

استسلم فؤاد للأمر الواقع بعد تلقي الرسالة وإغلاق هاتفها. ولم يعد يهمه الانتقام من مصطفى وإعادة ما أخذه منه. وأما بالنسبة لشهد فقد تخلت عنه وعلمت بكل شيء...هيأ حقيبته ليعود إلى والدته التي تنتظره، وطلب من رياض أن يهيئ نفسه أيضاً. عاد إلى المنزل وكانت العائلة مجموعة بالمنزل بجانب والدته التي تنتظر الموت، جلس على الكرسي أمامها وأمسك بيدها وقبلها، نظرت له والمرض سيطر على ملامحها وجسدها، نظرت له والدموع محصورة في عينيها المجفلة، أخبرها أنه عاد لها وأن تطمئن عليه، ولكن لم تتكلم رفعت يدها ببطئ ووضعتها على وجنتيه. ولكن بلحظة فقدت أعصابها وسقطت يدها وهي تنظر له دون حركة وتبتسم، حاول أن يكلمها ويحركها ولكن كانت مسترخية، علم بأنها فارقت الحياة وروحها خرجت منها وتخلت عنه هي أيضاً.

علم بأنها ذهبت من كانت تنتظره أن يأتي وتراه قبل موتها، ذهبت من تحملت الفقر وسهرت الليالي كي تراه يقف أمامها بذلك الحجم كالجبل. تركته هي أيضاً مثل شهد وتركوه يصارع الحياة لوحده.

....

وضع الدفتر على الطاولة، وأمسك القلم بيده، وبدأ يحاول أن يعتصر ويعيد ذاكرته، حتى أنه أصبح يسهر الليالي وهو يحاول ويحاول ويحاول، حتى بدأت ذاكرته تعود تدريجياً ويدون كل ما يذكره، حتى أنه كان يخبر آدم بكل ما يذكره من أجل أنه إن نسيه يذكره هو به. تذكر طفولته وموت

شقيقته، وحياته ودوَّن كل شيء بعد فترة. إلا طريقة دخوله المصحة ومن هي تلك الفتاة التي تظهر بمخيلته كل يوم وتختفي. في أحد الأيام كان يقف أمام النافذة وينظر إلى الخارج، رأى الفتاة التي يتخيَّلها دائماً خرج مسرعاً من الغرفة يركض إلى الخارج حتى وصل إليها وهو "يناده" لها، التفتت للخلف وكانت هي بالفعل شهد، نظرت له والدموع تتساقط من عينيها ثم التفتت وذهبت مسرعة وهو يناديها ولكن لم تتوقف. عاد إلى غرفته وأخبر آدم بما حصل وأن الفتاة التي يتخيلها ظهرت أمامه ولكن لم يستطع التحدث معها.

جلس يحدث نفسه من تكون وما سبب بكائها وربما تكون من عائلته أو أنها كانت في حياته قبل أن يفقد ذاكرته، تشويش رهيب يسيطر على عقله ولا يستطيع التفكير بشيء. وكان يظن أنها ستأتي مرة أخرى وسيجبرها أن تقف معه ويحدثها.

....

يجلس فؤاد في قاعة أفراح ومن حوله الناس تتراقص وتضحك إلا هو، كان منكسرً وهو ينظر إلى شهد وهي ترقص بفستانها الأبيض، ولكن لم يكن يظهر على وجهها السعادة وهي تلتف وتنظر حولها، رأته وتقابلت عيناها بعينه المنكسرة، تسمَّرت بأرضها وهي تنظر له بحزن وندم، وكأن عيناها تعتذر له وتخبره بأنها لم تكن تريد فعل ذلك ولكن كانت مجبرة. بعد قليل تقدمت لها إحدى المضيفات وأعطتها باقة ورود كتب عليها تهنئة

وفي أسفلها كتب (فؤاد السيد أحمد) نهض من بعدها، وهو ينظر إلى الأرض وخرج خارج القاعة.

ذهب إلى أحد الحانات. جلس على طاولة في زاويتها، اقترب منه أحد الندلاء وهو يسأله عن طلبه. نظر له فؤاد بانكسار وطلب منه أن يحضر أغلى نوع من الكحول لديهم.

الحانات دائماً يذهب إليها المنكسرون والمهمومون ومن يعمل بها يقابل كل يوم العشرات من هؤلاء الأشخاص ويعلمون ماذا يقدمون لهم ليفصلوهم عن الواقع.

فؤاد كان من هؤلاء، حتى أنه لم يكتفِ من زجاجة واحدة ولا بخمسة حتى. ظل يشرب حتى خرج عقله من كل شيء ليس من واقعه وذاكرته فقط. ولأنه لأول مرة يشرب ذلك تقيأ في أرضية الحانة، وكسر الزجاجة بالأرض وبدأ يصرخ بأعلى صوته على المتواجدين بالمكان. نهض خمس شباب يجلسون على طاولة مجاورة له وقاموا بضربه وركله ورميه خارج الحانة. نهض وهو في حالة سكر ويضحك بعد كل ما حصل له، وسار في الشوارع دون وعي. حتى دخل المقبرة وجلس أمام قبر والدته وهو يشتكي لها ويضحك. حتى فقد وعيه. واستيقظ ورأى نفسه في المصحة العقلية.

....

في الخواتيم الأخيرة، دعوني أخبركم شيئاً أخيراً أهم من كلمة وداعاً أو إلى اللقاء الاعتيادية.

سيدة في الخامسة والسبعين من عمرها، جالسة بالقرب من المدفأة على أريكتها التي تتصدر غرفة المعيشة، وبجانبها تستلقي حفيدها الصغيرة واضعة رأسها في حضن جدتها. جدتها التي تروي لها قصة ليست كبقية القصص. نامت حفيدتها قبل أن تصل الجدة إلى الخاتمة. تروي الجدة سطور الصفحة الأخيرة بينما عيناها الكاهلة ممتلئة بالدموع. لقد كنت أعلم مسبقاً أنكِ كنتِ تأتين إلى المصحة في آخر فترات حياتي، عندما عادت ذاكرتي. رغم أن تزوجت، لقد كنت أسارع لتدوين ذلك كلما تذكرت شيئا، وقد كان الحصاد هو ما بين يديك الآن. وأتمنى من كل قلبي أن ترويها يوماً ما إلى أول حفيد أو حفيدة لك، وتبقى ذكرى وجودي بالقرب منك.

كتبت هذه القصة قبل أن يلتف الحبل حول عنقي. أنا أرتكب خطأً كبيرًا، أعلم ذلك. ولكن حين تقرأين هذه الكلمات سيكون قد فات الأوان.

حبيبك المخلص فارق الحياة للمرة الثانية، بعدما فارقها أول مرة عندما افترقنا.

أغلقت الجدة الرواية وهي تبكي بحرقة ناظرة لحفيدتها المستغرقة في نومها وهي تداعب شعرها وتقول لها: "من الجيد أنك نمت منذ البدايات يا

عزيزتي. هذه القصة تعود لرجل أحب من كل قلبه، رجل أعمى الحب بصيرته. قصة رجل سلك طريقاً أسودَ لهدف وغاية بيضاء نقية كالثلج. رجل لم يكترث بالخسائر بقدر ما كان يفكر بالحب. سلك طرقاً وأساليب من أجل الحب لا ترضي أحداً ولا الله. فأصبح كمن قفز دون وعيٍ إلى داخل حفرة عميقة مظلمة باحثاً عن الحب. فرُدمت تلك الحفرة وقتلت الرجل وحبه. لقد وجدو هذه الرواية يا عزيزتي منذ سنوات في أحد المصحات النفسية بجانب هذا الرجل الذي كان لا يتذكر شيئاً. وعندما تذكر كل شيء وما حدث معه. شنق نفسه".

(تمت والحمد لله)

السيرة الذاتية

الكاتب: مؤمن مصطفى السبيعي

الجنسية ومكان الولادة: دمشق(سوريا)

مواليد: 1998/5/27

الأعمال السابقة

رواية: ليقسو قلبي

مجموعة قصصية: آي بي آر

رواية: انتقام الجن

مجموعة قصصية: المدانون

****

رواية
ريمونتادا سوداء
مؤمن مصطفى السبيعي
الطبعة الأولى
1444 هـ 2023 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.